هذي الليل

كلمة رسمة حدوتة

طارق عيد

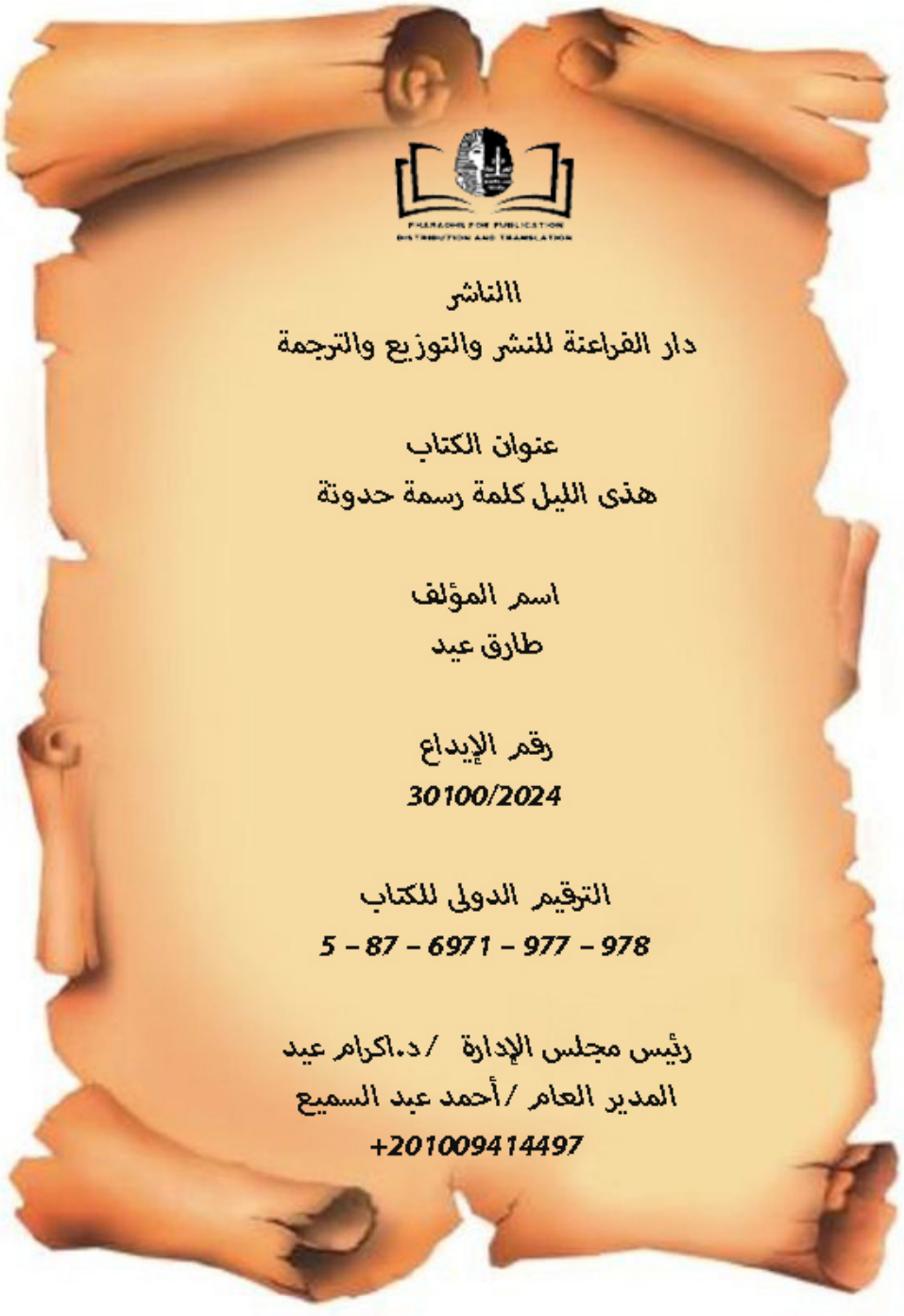

االناشر
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

عنوان الكتاب
هذى الليل كلمة رسمة حدوتة

اسم المؤلف
طارق عيد

رقم الإيداع
30100/2024

الترقيم الدولى للكتاب
978 - 977 - 6971 - 87 - 5

رئيس مجلس الإدارة / د.اكرام عيد
المدير العام / أحمد عبد السميع
+201009414497

إهداء

إلى من قرأت مستهل سردي .. و تمعنت في شخبطة قلمي و بُطَش ألواني قبل أن أتعلم الكتابة .. و رأيت في بريق عينيها ما أضاء حياتي و يحتضنني حتى بعد خروج زفيرها الأخير ..

إلى أمي الغالية

أ. د. صباح عبدالمبدي رضوان

٨ فبراير ١٩٤٨ – ٢٥ يناير ٢٠٢٢

في لغتِنا الجميلة عندما يهذي الشخص ..

يعني هذا أن يتكلم بكلام لا يعقل،

ربما نتيجة لداء أو مرض شديد ..

تختلط فيه أحوال الوعي بالعِلَل

و الإسم منه هذْي و هذيان ..

ينم عن اضطراب أو خلَل

و يهذي .. فعل مضارع

أما الفعل الماضي ..

فعودته لا تُحتمَل

العادات السبع للناس الأكثر هذياً .. لـ إستيفان روستي

١- العادة الأولى:
كن مُبادراً ..

" مداام.. تسمحيلي بالرقصة دي يا هانم "

٢- العادة الثانية:
ابدأ والغاية في ذهنك ..
".. ثواني أتحزم وأجيلك "

٣- العادة الثالثة:
ابدأ بالأهم قبل المهم..
" الكونياك ده مشروب البنت المهذبة"

٤- العادة الرابعة:
تفكير مكسب/مكسب ..
" بندقية اللورد هيبالالا أطخ بيها عيار واحد ألاقي الغيط كله أتبدر سمان بقدرة واحد أحد "

٥- العادة الخامسة:
السعي لأن تَفهَم أولا، قبل أن تُفهم ..
" في صحة المفاجآت"

٦- العادة السادسة :
التآزر والتكاتف..
" اشتغل يا حبيبي اشتغل "

٧- العادة السابعة:
شحذ المنشار ..
" نشنت يا فالح .. ياخى إسفوخس ع اللى شَـيّـلهولَك"

استيفانو دي روستي (ستيفان روستي) ١٨٩١ - ١٩٦٤

شكله جد و خطير .. وياما ضحكني كتير

شات جي بي طارق (Chat GPTarek)

ما هي أنواع المبدعين؟

- المبدعون نوعان .. هناك منهم مَن هو حنفية (صنبور)، و هناك من هو أنبوب معجون ... النوع الأول لا يحتاج إلاّ لحركة بسيطة ليبدأ اندفاع الأفكار لتملأ الوعاء بالمنتج الإبداعي المنساب .. أما النوع الثاني فهو يحتاج لضغط قوي حتى تندفع الأفكار ويخرج المنتج الإبداعي الكثيف.

ما هي أنواع الموظفين؟

- الموظفون ثلاثة أنواع .. هناك منهم من هو بطاطس، وهناك منهم من هو زعفران، و هناك من هو ورد النيل.. النوع الأول مهم جدا لسد الإحتياج و ينمو تحت الأرض و يمكن زراعته بتربة في بلاد حارة أو معتدلة أو باردة.. أما النوع الثاني فهو مفيد جداً ولكنه نادر ويحتاج انفاق مادي و صبر ومراحل متعددة للوصول إلى المنتج النهائي الذي سوف يدِر أموالاً جيدة.. النوع الثالث ينمو بشكل متسارع ويستهلك المصدر الأول للحياة والإستفادة منه شبه منعدمة بل ويعرقل انسياب السريان الطبيعي للعمل.

ما هي أنواع النساء؟

- النساء .... عذراً يوجد عطل تقني ....أعد المحاولة لاحقاً.

ما هي أنواع النساء؟

- لاحقاً .. تعني فوت علينا بكرة...

ما هي أنواع النساء؟

- بما انك مُصِر على السؤال ولحوح .. فسيتم تحويلكم إلى غرفة أخرى لحين اصلاح العطل التقني ...
  *ملحوظة يا أستاذ: وفقا لـ شات جي بي تي المبتكر من شركة (Open AI) فإنه "يجب أن يتم التعامل مع التصنيفات العامة للنساء بحذر وإحترام للتنوع الفردي والثقافي".

وما هي تلك التصنيفات العامة للنساء؟

- تم انهاء المحادثة... سيتم تحويلكم إلى غرفة شات جي بي مرسي الزناتي.

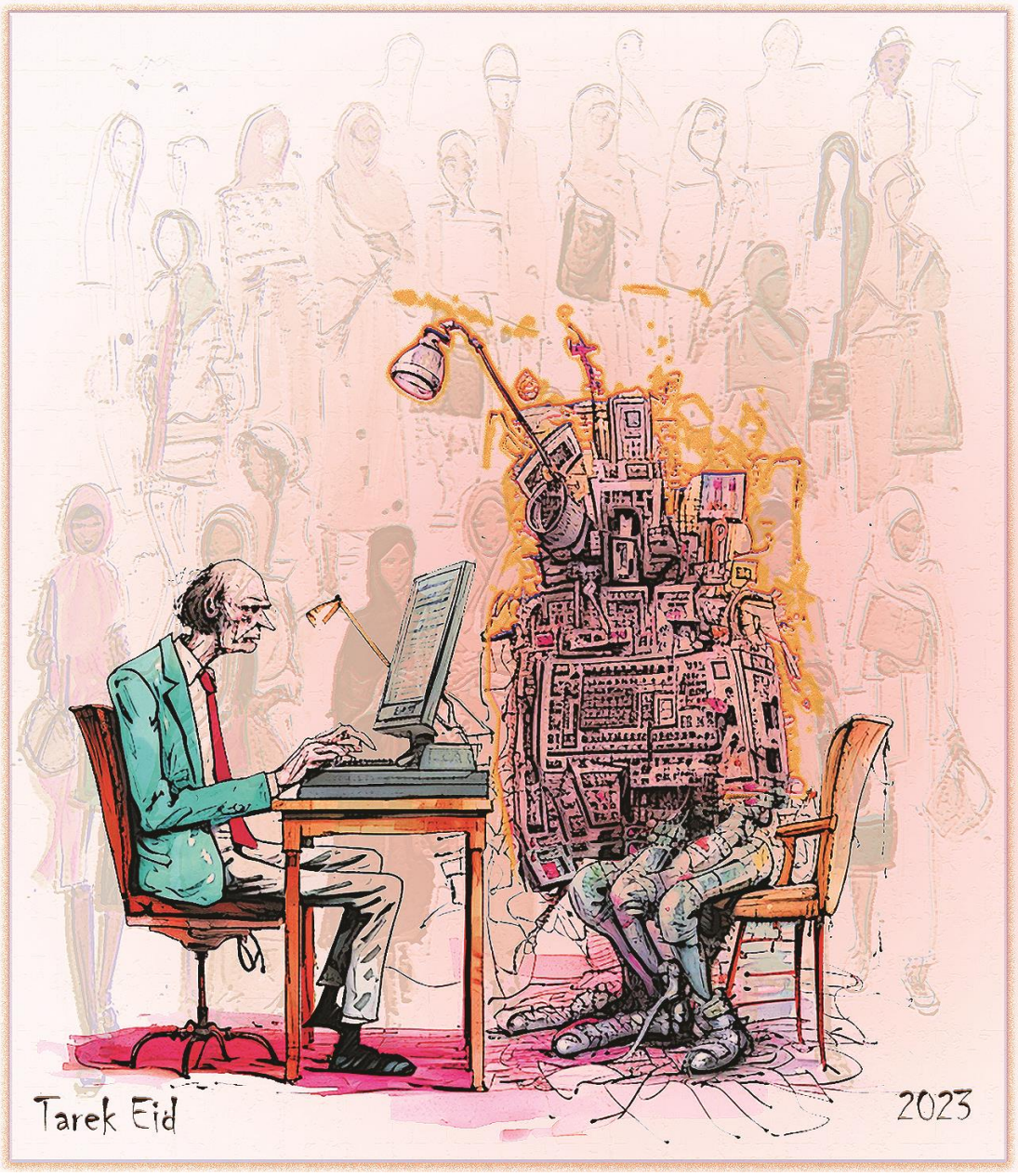
Tarek Eid
2023

لحظات تجمد

في كثير من الأفلام السينمائية تتحرك الدُمَى وتتحول إلى أشخاص، والليلة تجمد عقلي قليلاً وتجمدت معه الأشخاص وبدأت أرى الأمور بغلاف شمعي.. ماذا لو حدث العكس؟ ماذا لو تحول الناس إلى أشياء؟ ماذا سأكون؟ وماذا سيكون الآخرون؟ هل سأتحول إلى مقعد مثلاً؟ أم سأصير شماعة؟ أم سأكون ورقة؟ أي الجماد يشبهني؟!

سأبحث في القنوات الفضائية عن جماد يشبهني.. ها هو الأستاذ (طبلة) ينتقد السيد (سلة القمامة الاسطوانية) والذي بدوره يسبه على قناة أخرى بجوار السيد (فوطة).. هذه الأجواء لا تناسبني، سأذهب إلى الشرفة..

في فترة الطفولة كنت أقف طويلا في الشرفة وأتخيل السيارات والحافلات تنطق وتتكلم مثل الأشخاص، لطالما أحببت تلك اللعبة حتى إذا ما خرجت إلى الشارع أكاد أحتضنهم وأقَبِل عجلاتهم، ولكن هناك دخيلاً جديداً لم يكن موجودا في فترة طفولتي البريئة.. إنه هذا الـ(توكتوك) الصغير والذي يبدو لي من الوهلة الأولى أنه قد خرج إلى الحياة كنتيجة حتمية لخطيئة كبرى وقعت في لحظات طيش تبرأ منها فاعلها فصار هذا الصغير يهيم في الطرقات كأطفال الشوارع بلا أب شرعي أو شهادة ميلاد!

كنت أخجل من حكي تخيلاتي في الطفولة حتى أنتجت شركة (بيكسارPIXAR) العالمية فيلم (السيارات) ورأيت (**برق بنزين** -Lightning McQueen) ومِن بعده (**هولّي دركسيون** - Holley Shiftwell)، فدائماً يتحدث الجماد في رسومهم المتحركة وكذلك الحيوان والحشرة والنبات وحتى الأشباح، ولكن لا يمكن أن يحدث العكس فيسكت المتحدث ويتجمد المتحرك وتنعدم الأحداث وبالتالي نعود للصورة الواحدة.. وهذا ما يضع بلادنا في مكانة تتفوق فيها على سائر الدنيا، لأن المعادلة عندنا تسير في الإتجاهين، فيتحرك الساكن ويتجمد المتحرك، فنحن من نعلوا بالحجارة مصاطب ودرجات ونحن أيضاً من نَوئِد الفكرة الحرة في باطن الأرض، وفي كثير من الأحيان ندفع الساكن المتكاسل ليتقدم ونعرقل النافذ النشط فيفشل!

لم أجد شيئاً في هذا الشارع يشبهني، وبدأت فكرة الجمودية تتبخر من رأسي ولم أعرف ماذا ساكون إذا تحولت إلى شيئ حتى عثرت على الإجابة حين سمعت رنين جرس باب المنزل وذهبت نحوه وأمسكت بالمقبض (الأُكرة) فشرعت في تحريكها، و لكن توقفت لوهلة فككت فيها قبضة يدي ونظرت إلى المقبض أتأمله، فقلت في نفسي لعل هذا الباب لا ينفتح إذا ما تلف أو ضاع هذا المقبض، وقطعاً سيصعب غلقه، وحينئذ ربما سيحتاج الباب إلى دفعة قوية قد تكسره ... كيف كنت أغفل هذا المقبض؟!

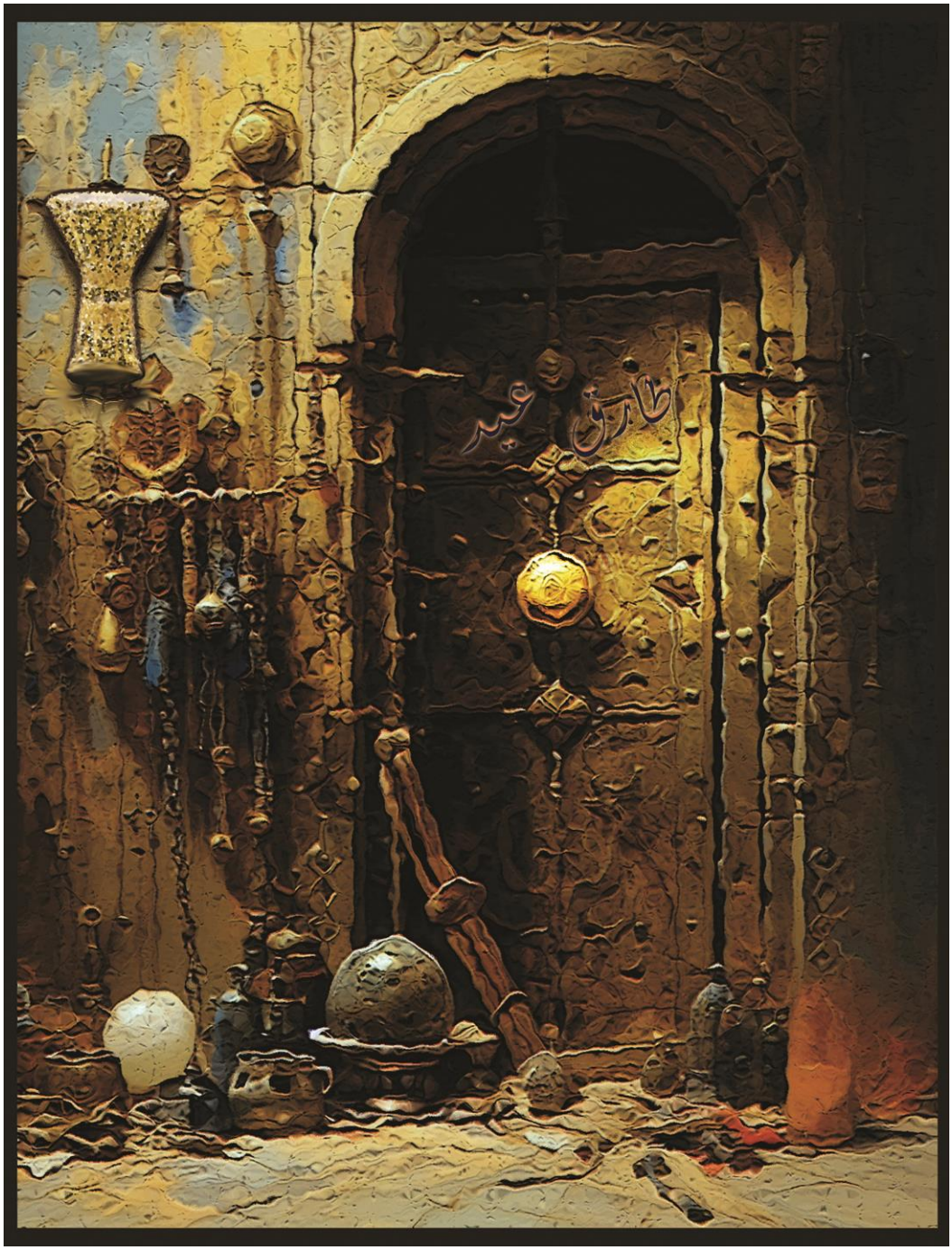
طارق عيد

القلعة جنب البحر

هو ايه جاب القلعة جنب البحر؟!

من ساعة ما وعينا ع الدنيا

و قلعتنا على ضفاف النهر

أسوارها يطُل منها الحرس

و الفَراشة تطوف بين الزهر

والدوح عند الأبواب عالي و كثيف

يرمي ظلاله علينا ينسينا الحَر

و غدر البحر كان شطُه بعيد

ليه فجأة الزَبَد غَطَانا وفرَش ع البَر؟!

هو الجماد دبت فيه الروح؟!

ولا ماعدش لينا من الخطر مفَر؟!

- رحم الله ضحايا **إعصار دانيال**، وضحايا **زلزال مراكش**، وألهم أهالي **درنة** وكل سكان المناطق المنكوبة **بليبيا** و**بالمملكة المغربية** الصبر والسلوان.

جُزّر الهأأو

في مصر آلاف ممن قاموا ويقومون بتخصيص الكثير من أوقاتهم للدراسات العليا سواء كانت دبلومة أو ماجستير أو دكتوراه ، وهذا طبيعي في معظم دول العالم ، لكن الغير طبيعي هو نظرة المجتمع المصري التي تغيرت لهم، وأقصد الحرب النفسية التي دق طبولها كتائب محدودي المهارات.

الأزمة التي أتحدث عنها هي ليست في طبيعة الأبحاث العلمية أو حتى بقائها مع أنثى العنكبوت على أرفف المكتبات الجامعية، وإنما هي ازمة نفسيات وأقصد بلغة العصر (النفسنة)، نعم .. النفسنة ...

عندما يشرع الخريج الجامعي في دخول عالم الدراسات العليا، يقف بأحلامه أمام بوابة مهيبة يرى خلفها عالم كرتوني مملوء بالحلقات النقاشية والمعاطف السوداء والأقلام الذهبية والبعثات الدراسية والندوات..

لكن مع أول خطوة تتعثر فيها قدماه على عتبة الروتين والبيروقراطية والفكر المعبأ، يخرج الدارس من فيلم ((أليس في بلاد العلم)) ويدخل في عالم أفلام الخوارق ليشاهد أكشن ((هجوم جودزيلا على الجامعة)) !

وبعيدا عن الجامعة و((جودزيلا)) الذي حطم أبنيتها، فهناك دراما أخرى تنتظر الدارس في محيط عمله (إذا كان يعمل) وهي دراما مسلسل ((ذئاب الجبل الجزء الرابع والعشرين))، فتجد المدير يفخر به أمام رئيس العمل ويقول:

" الأستاذ فلان يا فندم مجتهد جدا وبيحضر دراسات ال.... في الجامعة"

فيرد رئيس العمل (الكبير): - برافو برافو

و يفرح الموظف بهذا الثناء وترتسم السعادة على وجهه قبل أن يعرف بحقيقة كلمة "برافو" ...

"برافو" في حالة (عمنا الغلبان الفرحان بدراسته في الجامعة) تشبه تماماً كلمة "دليسيبس" للفنان ((احمد زكي)) في فيلمه الشهير (ناصر ٥٦)، حيث أن كلمة "دليسيبس" كانت كلمة السر التي فور نطقها تحركت فرق من أبناء مصر المخلصين لدخول مكاتب إدارة قناة السويس ومرافقها المختلفة تمهيداً لقرار تأميمها..

وعلى غرار "دليسيبس" وبنفس الاسلوب فإن "برافو" هي كلمة السر التي تنطلق بعدها فرق من ابناء مصر لدخول دهاليز هذا الموظف/الموظفة المغامر تمهيداً لتأميم الأفكار وتعذيبه روتينياً، وربما عزله ونفيه بعد ذلك إلى (جزر الهأو)..

جزر "الهأأو" تقع في محيط أفكار القطبين الشمالي والجنوبي لكوكب محدودي المهارات، وبلغة الجغرافيا هي تعتبر أرخبيل، وأشهر جزر هذا الأرخبيل "جزيرة هأأو هو فاكرنفسه هيفهم احسن مننا"، و"جزيرة هأأو هو فاكر انه هيترقى بالدراسات بتاعته دي"...

أما أكثر هذه الجزر انحداراً فهي "جزيرة هأأو الماجستير والدكتوراه التلاتة بعشرين جنيه على الرصيف" !!

لهذا فإني أتوجه برسالة إلى كل ديناصورات هذا الكوكب..

"لو بتحبوني .. محدش يقوللي برافو .. إللي يحب النبي ميقولش برافو"

يا شركات مصر.. يا كل مؤسسات مصر.. أدعموا موظفيكم ممن يجتهدون في التعلم، أدعموهم بأن تيسّروا لهم ولا تعسروا عليهم، أدعموهم بالمكافأة عند النجاح ، أدعموهم بالأجازات عند الحاجة للتعلم، و ليس بالخصومات والأذى، لا تغرسوا حقن اللوائح في العضل، ولا تطعموهم من معلبات شئون العاملين المسرطنة، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " ،

ما بالكم بمن يسر على المتعلم ذلك الطريق؟

قرأت عن دراسات وأبحاث أثبتت أن الدراسة والتعلم في في مجال العمل يزيد من تعرف الموظف أو العامل على أحدث ما توصل إليه العلم في مجال عمله، و يزيد من إنتاجيته من خلال تعلمه كيفية إكمال المهام الجديدة وتحمل المزيد من المسؤولية، ويتعلم الموظف تقنيات متطورة تساعده على إنجاز المهام اليومية بشكل أكثر كفاءة..

دعونا نتخلى عن خوفنا المريض من أن يصبح لهذا الدارس شأن وعلو مكانة، فيغطي كالغيوم على السماء الصافية لكتائب محدودي المهارات، دعونا نتخلى عن تلك الأفكار البائدة، وإذا رأيت يوماً شخصاً يذهب ليتعلم في الجامعة أو مركز تعليمي، أياً كان عمره، وأياً كان مستواه الأجتماعي، وأياً كان إحتياجه المادي، وأياً كان .. لا تقل له برافو ..

بل قل له نحن نحتاج لما تتعلمه، نحن سنستفيد بما تدرسه، فما علمنا وعِلم البشر جميعاً إلا كما نبه ((الخضر)) ((موسى)) عليهما السلام عندما قال:

"يا موسى .. ما علمي و علمك و علم المخلوقات إلى علم الله
إلا كما شربه العصفور من ماء البحر".

و في الختام ..

سلامي و سلام كل العصافير المغردة من شواطئ جزر الهأأو.

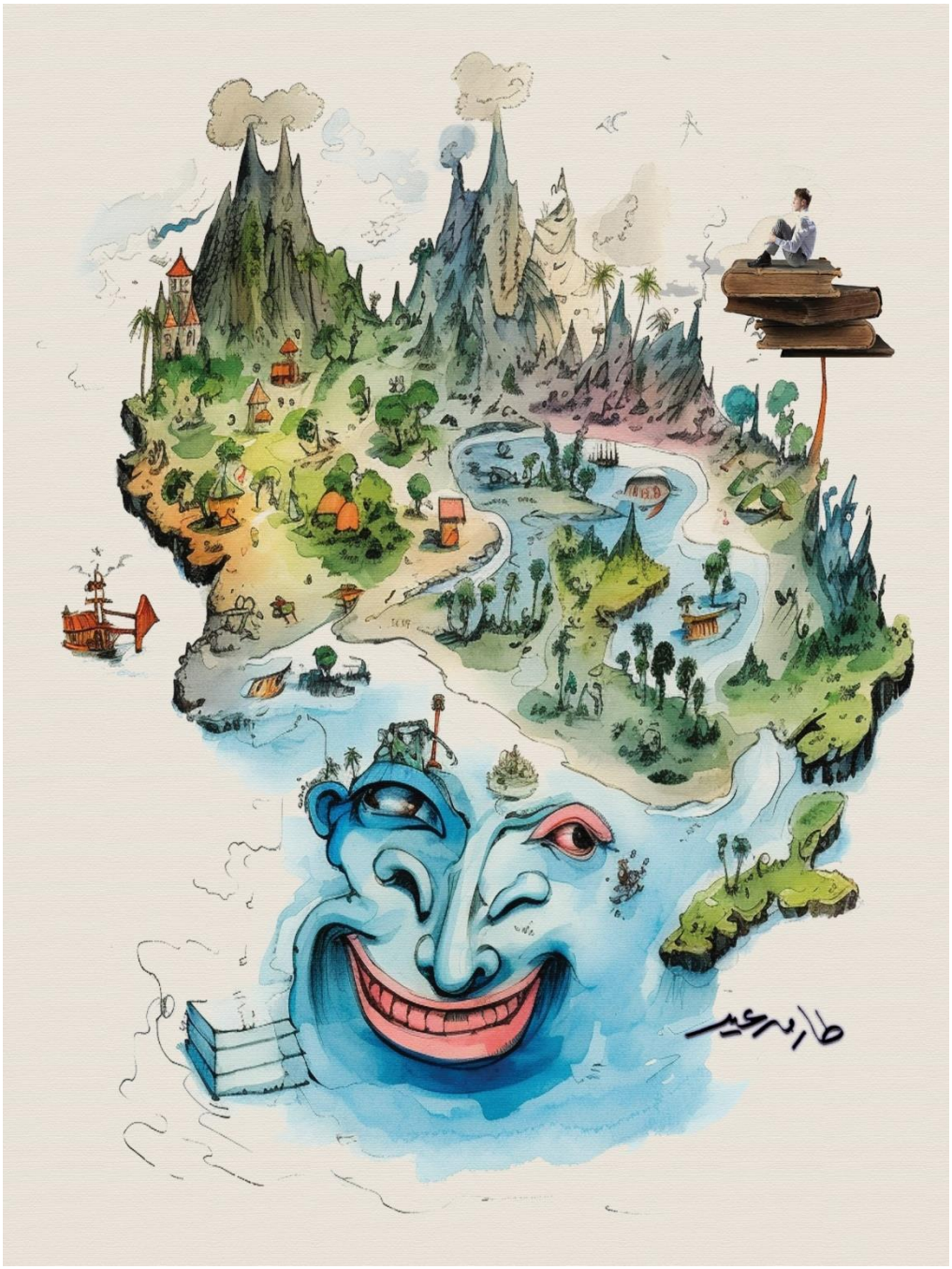
طارق عيد

واقع إفتراضي

في مشهد هلامي بطيئ الملامح تمدد بطن السيد رئيس التحرير الجالس على كرسيه كقنديل البحر العالق بين الطبقات السطحية من المياه الضحلة لشاطئ (جمسة) والساحل الشمالي، ثم إنهالت لسعاته على مؤخرة المحررين المستخدمين لتلك الوسائل أو البرامج التافهة، مستخدماً كُنية "واقع إفتراضي" ليعبر بها عن ذلك الإختراع الذي لم يجلب لنا إلاّ المرارة والأسى وإهدار الطاقات، فظل ينقبض وينكمش مردداً "واقع إفتراضي" ليذكِّر كل من يحسب أن (الفيسبوك) أو أي تطبيق الكتروني قادر على تحقيق أي أمل أنه واهٍ وساذج وأن هذه اللعنة مجرد "واقع إفتراضي" أُبتلِينا بها من الغرب، ومن بين كل النعوت لم يجد رئيس التحرير إلاّ "إفتراضي"، فلا تجده يقول "واقع إلكتروني" أو ربما "واقع يستهلك وقتاً" أو حتى "واقع ينفث غضباً" .. ولكنه فقط "إفتراضي".. إستشاط بعض المحررين غضباً وعَلا صوت ضجرهم الذي بات جلياً في أنفاسهم الطويلة والمتعاقبة، فنظر إليهم من أسفل نظارته وأستطرد قائلاً:

- إن كان منكم شخص يشعر أنه ثورجي أو قام بدور الناشط السياسي يوماً ما وظن أن هذا الواقع الإفتراضي قد صنع منه بطلاً.. فليعلم أن ثورته تلك كانت أيضاً "إفتراضية" .. نعم "إفتراضية" .. لم تكن ثورة.. فقط حسبناها كذلك وتبيّن لنا أنها مجرد خدعة.. مثل كل منشوراتكم ومقالاتكم الإفتراضية المثالية التي تحاولون أن تثبتوا فيها وجهة نظركم أو تظهروا فيها أنكم كُتاب بارعون ..

سكت الجميع إحتراماً للقمة العيش إلاّ واحداً نطق بكلمات يكسوها ثوب الحسرة وقال:
- يا فندم .. نحن على يقين مما تقول.. ولكننا لا نترك عملنا ونستخدم تلك الوسائل إلاّ لنرد على من يتهكم عليك ويذمك و يسبك ليلاً نهاراً..

إندهش رئيس التحرير وإنعقدا حاجباه سائلاً بإستنكار:

- هل هناك من يتهكم عليّ و يسبني ليل نهار؟!

نظر المحرر إلى محل قدميه وأجاب بأسف:

- بعض الأشكال الضالة تنشر صوراً مسيئة لشخصكم وبصورة شبه يومية ونحن نتدخل لحذفها..

إرتفع مؤشر الدهشة لدى رئيس التحرير، وصاحَبُه زيادة في معدل الفضول فسأله:
- كيف يحدث ذلك وما الذي ينشره عني هؤلاء الـ.....

حرك المحرر كفه الممسك بجهازه اللوحي (التابلت) لأعلى، و تقدم خطوة نحو رئيس التحرير، وضغط بطرف إصبع السبابة على شاشة الجهاز قائلاً:

- أنظر سيادتك .. هذا شخص أحمق نشر فيديو لسيادتك وكأنك حاش لله تمسك بطبلة بلدي مثل الفنان احمد زكي في فيلم الراقصة والطبال .. وهذا أخر وضع لسيادتك.. لمؤاخذة قرنين مثل الفنان حمدي احمد في دور محجوب عبدالدايم في فيلم القاهرة ٣٠ .. و هذه صورة تعبيرية لسيادك في اجتماع النقابة تمسك فيها بـ...

جذب رئيس التحرير الجهاز اللوحي من يده و قاطعه بحدة:

- كفاية .. لا داعي .. يكفي هذا...

سكت الجميع لحظات قبل أن يقطع صمتهم صوت رئيس التحرير الذي أمعن النظر في شاشة الجهاز اللوحي (التابلت) قائلاً لصاحبه:

- لتبق أنت ولينصرف البقية إلى مكاتبهم ..

غادر المحررون غرفة المكتب وبقَى المحرر ينتظر بشغف، فباغته رئيس التحرير بسؤاله:

- هل يستطيع أي شخص أن يرى تلك البذاءات؟

أومأ المحرر بالإيجاب ، فعاد ليسأله:

- من هؤلاء الأوغاد الذين ينشرون تلك الحقارة حتى أبلغ عنهم السلطات؟

- فيك أكونت ..

- لا أفهم

- يعني حساب وهمي يافندم .. لابد من تعقب مصدره من خلال متخصصين محترفين وفي النهاية ربما لا نصل لشيء

خفض رئيس التحرير هامته لأسفل وقال بصوت يملأه الأسى:

- فلتجلس بجواري لتعلمني كيف يعمل هذا التطبيق وكيف نمحي تلك القذارة ..

إبتسم المحرر قائلاً:

- أمر حضرتك .. و لكن قبل أي شيء أود ألا تقلق من تلك البذاءات..

فجميعها نشرت في واقع إفتراضي لا يصدقه عاقل ولا يؤثر على تاريخ أو مجد الأشخاص العظماء أمثال سيادتك.

أمعن رئيس التحرير النظر إلى صوره (المفبركة) بالجهاز اللوحي (التابلت)، ثم قال:
- طبعاً .. طبعاً .. هذا كله هراء .. واقع إفتراضي .. ولكن أحب أن أتعلمه حتى أحاربهم بنفس وسائلهم.

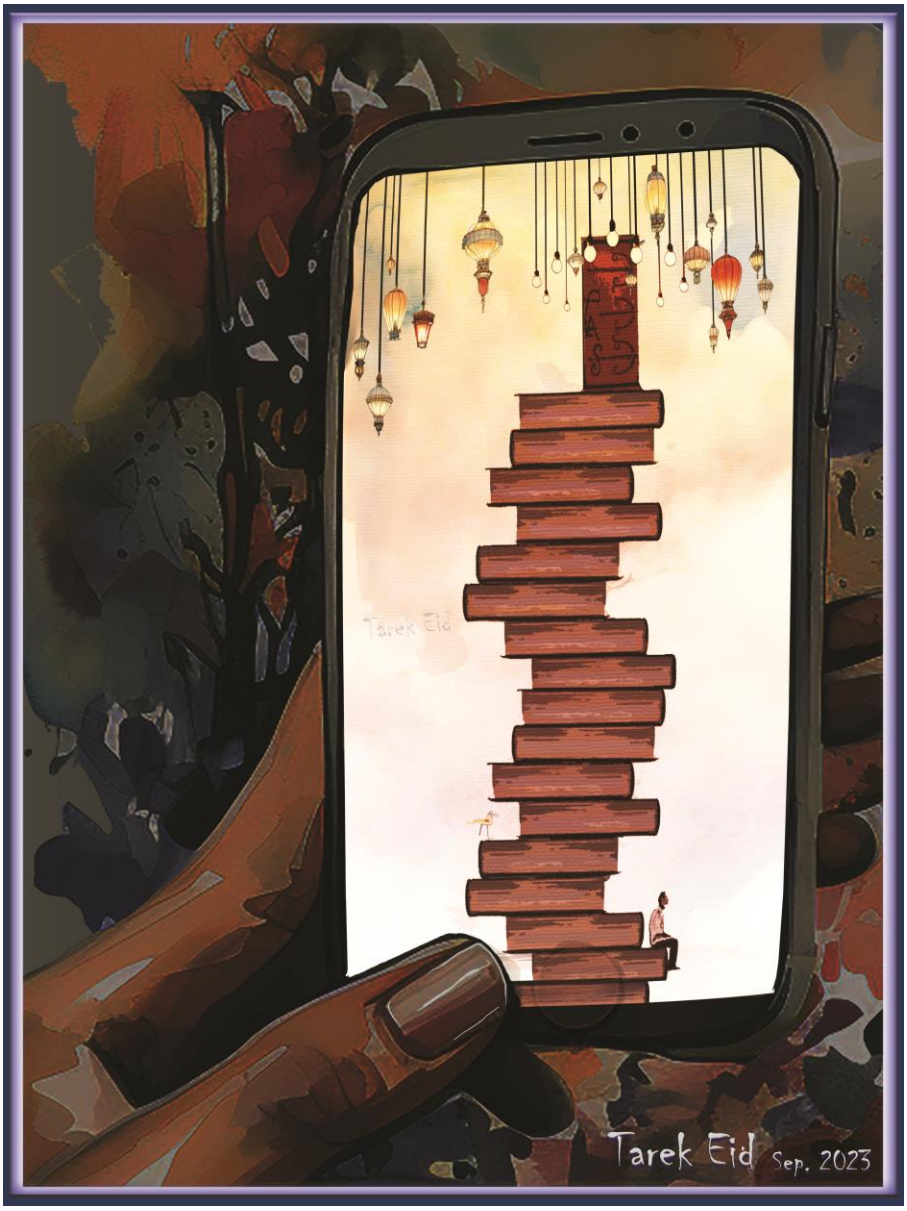

شارد برة القطيع

لما اتولد عقلي و لقيته شارد بره القطيع ..
يا ترى كان تمرد منه ولا كان بيضيع ؟!

من يومي مش فاهم ليه أفكاري ماشيه عكس !
العيب في عقلي ولاّ في الناس و لاّ في النحس ؟!

حد يقوللي هم ربوني على الصح و طلع غلط ؟
ولا الغلط هو الصح بس انحنى لما إنخبط ؟!

و الأصل ليه جذوره مدفونة تحفر تحت الأرض ؟
و الخسه شهاب نار في السما لما تشوفه تتخَض!

ويسألوني ليه دايما برة السرب انت طاير وحيد؟
يرد عقلي.. في شرودي حريتي.. وبالحرية هعيش سعيد .

Tarek Eid
Tarek Eid
Aug. 2023

دائري جيوغرافيك - كوكب المركَبات

السيارة أو المركبة بشكل عام تشغل حيزاً كبيراً من عقليات البشر، فهي كوكب أخر له قوانينه وفيزيائيته الخاصة به، وعندما أقود السيارة الآن و بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على إنتهاء أول رحلة مكوكية إلى الطريق الدائرى بسلام وأمان، أكاد أجزم أن المركبات هي كائنات حية بلباس حديدي لها طبيعتها وسلوكها النمطي والمتغير في بعض الأحيان...

فبينما تسير في الدروب الوعرة وبين أشجار الغابات على كوكب المركبات يمكنك أن تشاهد **المركَبة الضفدع** ..

تلك المركبة تتميز بالوثب السريع من نقطة إلى أخرى بشكل غير متوقع، وبإسلوب مدهش سيخرج منها لسان كالشهاب ليقتنص ذبابة تلتصق بطرفه فتجذبه إلى داخل احشائه في أجزاء من الثانية!

المركبة الضفدع أراها من أخطر فصائل الكائنات على كوكب المركبات، وهي تتميز بنقيق مزعج، وتعيش في مجموعات تتكاثف في أماكن محددة مع إمكانية استمرار دورة حياتها بشكل طبيعي بالأوحال والمستنقعات والأماكن العشوائية.

ومن أخطر الكائنات أيضاً **المركبة الفيل**..

والمركبة الفيل يمكنك أن تشاهدها في هيئة فيل عجوز ضخم أو فيل يتمتع بصِباه وينعِه، والفيلين بالعادة يسيران ببطئ ولا يأبهان لما حولهما من كائنات يرونها ضئيلة وأقل قدرة وتأثيراً عليهما، كما أن (الزلومة) المعدنية القوية والنابين العاجين البارزين يوفران لمركَبة الفيل قدراً كبيرا من الاحساس بالقوة والأمان، وذلك على الرغم من كَون قائد المركبة الفيل يُحتَمل أن يكون هش وضئيل الحجم وربما يبذل جهداً كبيراً في التسلق حتى يصعد للجلوس على الكرسي امام مقوَد تلك المركبة!

المركبة الأرنب والمركبة النحلة..

نوعان من المركبات الخطرة ويتميزان بالسرعة الفائقة ولكن يختلف الحجم بينهما ويختلف المبرر وراء تلك السرعة، فبينما تلف وتدور المركبة النحلة صغيرة الحجم وتتجاوز الكائنات الأخرى بسرعة كبيرة لتمُص رحيق الجيوب وحافظات النقود أو تلدغ لدغتها الأخيرة فتموت على الفور، سترى المركبة الأرنب تركض وتقفز بسرعة فائقة لتتجاوز كائنات أخرى ولكن بلا هدف أو مبرر سوى أن شعور سباق (الفورميولا) يضخ هرمون (الدوبامين) في دماغ قائد المركبة ويشعره بالسعادة!

المركبة الديناصور و التنين المجنح و وحيد القرن..

هي من الكائنات الفريدة التي أنقرضت أو أوشكت على الإنقراض بكوكب المركبات، فهي كائنات شرهة جداً للوقود الأحفوري، وتتميز بتمدد طول أبعادها وغرابة اشكالها وقوة محركها الذي يكاد يخرج لهباً من (شكمانه) في بعض الأحيان، كما أن صوتها مزعج، وهي متسعة من الداخل حتى يمكن أن يتم عقد قران قائد المركبة بداخلها وتوزيع الشَربات على المدعوين!

المركبة الحمار..

هي مركبة منتشرة جدا بدروب الكوكب، وتتميز بحب السير بالتوازي مع أي خطوط متقطعة غير مكترثة بالحفر أو المطبات أو (البلاعات) الدائرية أوالمستطيلة، وعادة تفضل تلك المركبات أن تتبع كائناً آخر فتسير خلفه، كما يمكنها السير ببطئ في الحارات السريعة على اليسار وربما تُسرع بالحارات البطيئة على اليمين، والمركبة الحمار لا تعرف لغة الاشارات ولا ترى اللوحات الارشادية ولا تميز بين الألوان فهي غالباً مصابة بعمَى الألوان وبعضها مصاب بالعشَى الليلي أيضاً!

المركبة الثعلب..

بعكس المركبة الحمار يتميز هذا الكائن بإنتباهه الشديد للحُفَر والفِخاخ ويقتنص الفرص والفتحات الضيقة ليتسلل منها ويختبئ بحيله عن رصد أعين الرادارات وهو خبير بالطرق يعرف كيف يخطف فرائس صغيرة تنتظر عند أطراف الغابة، وأيضاً يعرف كيف يزوغ من دون دفع أي رسوم، وتتميز المركبة الثعلب بقدرتها على التمويه وإدعاء قائدها الأعطال الكاذبة، ومن الصعب جداً معرفة نواياه!

المركبة الأسد..

هي ملك الغابة على هذا الكوكب.. تتميز بالقوة والسرعة والثقة بالنفس، ولديها العديد من المميزات الفريدة، وعادة تكون متراخية مادامت في حالة شبع، لكنها تشكل خطورة كبيرة على كائنات الكوكب إذا حركها عقل جائع.

Tarek Eid
2023

إيزي باس

على سبيل كسر حاجز الملل والسخط الذي ينتابك وأنت تستقل أي مركبة تهيم عبثاً في شوارع القاهرة وقت الظهيرة، حكى لي احد الطيارين المصريين (ع.ف) حكاية قصيرة حدثت له عندما كان يعيش بالولايات المتحدة الأمريكية في العام ٢٠٠٤ ...

الرواية بإختصار هي أنه كان يستقل سيارته الخاصة على طريق منهاتن-لونج آيلاند بولاية نيويورك، وكان ذلك في شهر نوفمبر وقتما إنهالت الأمطار على المدينة بغزارة حتى لم يعد يتبين بدقة الإشارات المرورية من خلف زجاج السيارة إلاّ بصعوبة شديدة.

طريق (منهاتن- لونج آيلاند) يعتبر طريق مروري له رسوم (تولّ)، وعند بوابات تحصيل الرسوم يمكنك المرور عبر منفذين إذا كان لديك إشتراك سنوي (أبونيه) أو تصريح بذلك، وهما ما يُطلق عليهما الـ (إيزي باس)، وذلك تيسيرا على من يستخدم الطريق بصفة دورية شبه يومية.

و في ظل أحوال جوية سيئة لمح الطيارالذي لا يحب أن يُذكَر اسمه (ع.ف) احدى الإشارات الخضراء مضيئة فتقدم بسيارته إلى الأمام، وما أن عبر منطقة تحصيل الرسوم حتى أدرك انها الحارة المخصصة لاصحاب الإشتراك (إيزي باس)، وبسرعة شديدة أوقف سيارته بجانب الطريق السريع و خرج منها متجهاً إلى الشرطي المروري المكلف بتحصيل الرسوم..

لا أعرف بدقة كيف دار الحوار بينهما ولكن مفاده هو أن الطيار المصري قائد السيارة إعتذر إلى الشرطي لعدم تمكنه من رؤية المدخل الصحيح نظراً لهطول الأمطار بغزارة وطلب منه دفع الرسوم، ولكن للأسف رفض شرطي المرور وقال له أنه بمجرد عبوره دون إشتراك فإنه قد تم تسجيل ذلك في التو واللحظة عن طريق (الكاميرا)، وليس مسموح له تحصيل أي رسوم منه لأنه لم يمر من المنفذ المخصص له.

(لا أعلم لماذا قفزت أمامي الآن صورة كوب الشاي بالياسمين!)

في اليوم التالي إستقبل الطيار خطاب بريدي، وما أن فتح الظرف حتى ظهر شعاع مخالفة مرورية بقيمة ٣٨ دولار (غرامة محترمة بالجنيه المصري بأسعار اليومين دول)، وبالطبع إنزعج الطيار الذي يقود طائرات نفاثة سريعة جداً بمنتهى الجدية والصرامة، ولكن سرعة تحليق وهبوط المخالفة كانت أسرع مما تخيل، أو ربما أسرع من تخيلاتي الشخصية.

وضع الطيار شيك بثمن المخالفة (ماني أوردر) وأرفق معها وصفاً قصيراً لما حدث

مع التنويه على سلوكه المروري الجيد والمعتاد، وأظنه أستعوض ربنا في القرشين.. أقصد السنتات (بما إننا في أمريكا)، و لكن يبدو أن هذا الطيار المحترم فلوسه حلال بزيادة ..

فبعد أيام قليلة إستقبل خطاب بريدي جديد يفيد بأنهم قد راجعوا كل ما جاء بخطابه وتبين صحته، وأنهم إستقطعوا فقط حوالي بضع دولارات تمثل رسوم المرور من المنفذ، وأرسلوا له بقية ال ٣٨ دولار في شيك جديد (مَني اوردر)، وبالتالي فهو يُعتبَر وكأنه مَر من خلال المنفذ الرسمي الذي وجب عليه المرور منه مع دفع القيمة الفعلية فقط (بدون معونة الشتاء) أو (دمغة و طابع الشرطة) أو (شاي موظف البريد) أو (إكرامية العسكري) أو (تبرعات لبناء إستراحة على الطريق) أو ...

ياليت حياتنا كلها تكون (ايزي باس) .

ضِل الجَدَع ولا ضِل شمسِية

عيني عليك يا صبي .. عيني عليكي يا صبية

عاش الصبي ينحر بإيده الصخر وسط الريح العتية ..

الصبية دابت في حب الصبي لما لقيته جَدَع و حَمّال قسية ..

الصبي كبر و شد حيلُه و دَق الباب ونادَى يا أهل الدار..
بدي أتجوز الصبية .. بنت الأصل الجميلة الغنية ..

غنية لا بمال ولا جاه ولا سلطان .. غنية بعزة نفسها الأبية

ولو على المال تغور كنوز الدنيا .. وتِبقَالنا العيشة الهنية

يا أهل الدار.. تاهت عقولكم ولا ضِل الجَدَع انكشف عنكم؟!

الجَدَع.. يصون الصبية ما تحس بوجع .. وآخر الليل لو جاعت ..
يكدح نهاره لأجل عيونها تشبع .. ويتعشى هو بشربة مية..

ده الجدع وفّا وكفّا و عامل زفة..

و حالف يوم الجمعة ليجيب هدية و ستين علبة و لَفة

والصبية رايداه و الدمعة على الخَد ندية

ما تفرحوا قلوبهم .. و رفقا بالقوارير الزكية

ده ضِل راجل و لا ضِل حيط .. و ضِل الجدع ولا ضِل شمسية !!

Tarek Eid
12/2023

الكسل

ثبت لي بالدليل القاطع أن الكسل مفيد، فلو أنك تعجلت بالنشاط في بعض الأمور لوقعت في الخطأ على الفور، وأعتقد أنه لولا الكسل لهرول البشر إلى المعصية وصارت خطاياهم أضعافاً مضاعفة، وأعتقد أيضاً أن هذا الفكر يستحوذ على فكر بعض المسئولين منذ قديم الأزل، فلم العجلة؟! في التأني السلامة وفي العجلة الندامة..

"*إرتاح بقه شوية يا ريس و شِم نفسك* "

بالأمس إستوقفتني إعلانات التوعية الموجهة التي تذاع على القنوات الفضائية والتي تستهدف تغير سلوك أو نمط حياة المواطن المصري ليتوافق مع الأهداف والتوجهات الرشيدة في الفترة الحالية، ولا تغرنك جملة (في الفترة الحالية) لأن الفترة الحالية توجهاتها لا تختلف كثيراً عن توجهات الفترات السابقة والتي قبلها، وبصفة عامة فإن معظم الحملات الإعلانية الرشيدة الموجهة للمواطن تنقصها الإعتراف بقيمة مهمة وهي قيمة (الكسل)، رغم أن أداء كثير من الخبراء والفقهاء يُحيِي شعائر الكسل حتى أنهم يتكاسلون عن شرح أهميته للمواطن.

عندما يخاطب الاعلام الشباب العاطل من خلال القنوات الفضائية فتقول له في مقطع دعائي:

"*إشتغل*" أو "*ابدأ مشروع صغير*"

ثم تقوم ببث صوت النشيد الوطني في الوسائل المسموعة فينهض فجأة كل عاطل ويغادر الكرسي أو الأريكة المريحة كأنه سمع صوت النداهة!

لا أظن أن هذا منطقي أو سيجدي نفعاً، لأن المنطقي هو أن الشاب عندما سمع السلام الوطني ظن أن منتخب مصر سيلعب مباراة كرة قدم فوقف ليبحث عن القناة التي تذيع المباراة، والتي حتماً ستكون (بي إن سبور) والتي ستشتري حق بث مسابقات الدومينوز في المقاهي قريباً، والأكثر منطقية هو أنه إذا ما وجد هذا الشاب فرصة عمل فلن يجلس كالنعجة أمام التلفاز ليسمع نصيحتك، وببساطة يجب أن يكون الإعلان واقعي ويساعد في رفع معنوياته ويعَرِفه بقيمة الكسل الفريد الذي يعيشه، فتقول له مثلاً:

"*كتير اشتغلوا و طفحوا الكوتة.. مواصلات تزهق وعميل ينرفز ومدير يخنق.. في النهاية هتصرف مرتبك على الشاي وَ تمن فاتورة الكهربا و التليفون و المياه والسوبر ماركت.. ليه تتعب نفسك و تشتغل و تدُور في ساقية.. خليك قاعد مع نفسك باشا و نَمِي قدراتك ومواهبك.. إكتشف نفسك بنفسك و إعمل اللي بتحبه بدون قيود..*

إنت مش عاطل لوحدك.. فيه ملايين زيك.. فيه ملايين بيحسدوك على راحة بالك يا برنس.. اعمل اللي بتحبه أكيد هتنجح"

أعتقد أن هذا أكثر مصداقية وشفافية و واقعية وله منطقية حتمية، وقطعاً سيفكر ما هي مواهبه وكيف سيُنميها ويكسب أموالاً..

مثال آخر.. لماذا نطيل في شرح كيفية ترشيد إستهلاك الكهرباء عن طريق اللمبات الكذا وإغلاق الكذا واستخدام هذا وذاك.. ما كل هذا النشاط الذي نطلبه من المواطن؟!

أعتقد أنه يكفي المواطن المطحون قولاً واحداً وهو أن تذكره بالضرر الناتج من النشاط الزائد فتقول له:

"إستهلك أكتر و شعشع الكهارب و نوَّر .. آخر الشهر من فاتورتك هتتعَوَّر" ،

أو أن تقول له:

"ليه تنور النور و ترجع تقوم عشان تطفيه تاني ؟!
دفي رِجليك وخليها مرتاحة وكفاية عليك نور الموبايل السهاري"

خير الكلام ما قل ودل، لماذا نستهلك ألسنتنا في نصائح لا تجدي نفعاً فمن الطبيعي أن المواطن يتأذى كثيراً من الضرر الجسدي أو المادي، وتلقائياً سيبحث بنفسه عن وسائل يتفادى بها (التعويرة) آخر الشهر،

و أبلغ برهان على فشل النشاط الزائد هي إعلانات تحديد النسل والتي لم تفلح على مر عقود في وقف الزيادة السكانية للمصريين، فكان يمكن إختصارها وتوجيه رسالة مباشرة و موجزة لرب الأسرة:

"إتعذبت وشقيت كتير في دنيتك الصعبة و مفيش شيئ بيتحسن.. حرام تخلف أطفال تعذبها في الدنيا.. و تعذبك أكتر.. و تعذبنا معاك ؟!"

أعتقد أن هذه الجملة كافية لمن (يزب العيال) أن يتوقف ويقذف بأبنائه في الترعة.

هكذا يجب أن نتعلم قيمة الكسل الإيجابية، ولنتكاسل قبل الفعل النشط الذي يدور بنا في دوامة غير ذي نفع.

شقة إيجار

هرش دماغه وقال أنا هعيش في شقة إيجار..
أهي تلم الليلة وتحلّي المرار

ولما أصير أمير أو فارس مغوار..
قصري التمليك هيطُل على أنهار

وبات ليالي مكبوت مهموم محتار..
الدخل قَل والأسعار بقت نار!

مش عارف يشتري حلة ولا حتى كيلو خيار..
وآخر الشهر المالك يناديله .. فين يا استاذ الإيجار؟

سد ودانه وقفل موبايله وعاش دور الشاب المنهار..
يمكن قلب المالك يرِق ويسيبله حق الشاي والفطار

ولما ربنا فرجها عليه اشترى زرعة صبار..
وبروازو ساعة أنتيكة يداري بِها شرخ الجدار

قام غار منه المالك و إتعصب عليه و ثار..

و قاله يا مستأجر مش من حقك تبدل ولا تدق مسمار

ولو مش مصدق شوف العقد وراجع شروط الإيجار..

ولو مش عاجبك فيه غيرك يدفع بالدولار.. او بالدينار

و من تحت الباب رماله وصل صيانة و إخطار..

و تحذير من التأخير.. يا تدفع يا ترحل آخر النهار

ده قانون جديد عتيد مافيهوش هزار..

يكبت أحلامك تصبح فجأة محبوس بين أربع أسوار

ويهرش دماغه ويسأل .. عمري هعيشه في شقة إيجار؟!

ملعون أبوها سرقت قوتي و ذلتني عَبد في بلد الأحرار

أوعاك يا حر.. تعيش و تنذَّل ..

أوعاك يا حر ترضَى بشقة إيجار

بأمر الخَيَال

بأمر الخيال إصحى و فُوق ..

شيئ و إنكسر جوه القلوب ...

حياتك هتكمل و هيعلا فيها الصوت..

أهتف ماتخضع و خَطِي الحدود

قلبك مش زاوية ولا محراب

قلبك جنة و لو الأرض مليانة حروب .

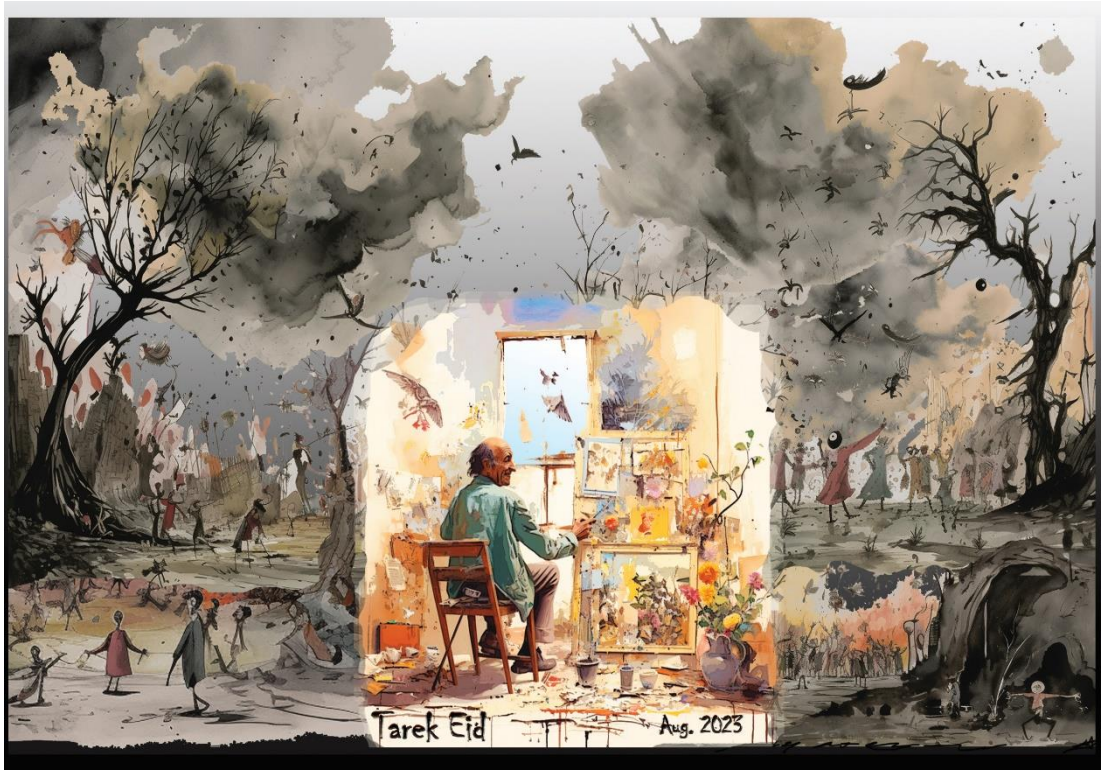

نظرية هوَيدا و نظرية الزير

الأستاذة ((هويدا)) ..

هي من الشخصيات التي قد لا أعرف عنها أكثر من أسمها وكيفية ربط طرحتها حول عنقها، ولكنها من الشخصيات التي قذفت إليَّ بعبارات لا أنساها..

تذكرت ((هوَيدا)) حينما سمعت بـ (خناقة) إتمام الصفقة الخيالية بين نادي فرنسي ونادي أسباني لشراء لاعب برازيلي بأموال قطرية، وعلى الرغم من أن اللاعب البرازيلي ليس هو الأبرز أو الأكثر مهارة أو حتى خفة ظل بين لاعبي البرازيل على مر التاريخ، ولكنه حظي بتقدير مالي رهيب جعله أشبه بصندوق الجواهر السوداء وليس جوهرة واحدة!

أظن ان الجوهرة السوداء (بيليه) لو كان يعلم ما تم دفعه في هذا اللاعب من أموال قطرية وسعودية فيما بعد لطالب بالحصول على (شِوال) كرات وأحذية ذهبية!

" بص يا طارق.. أي مكان تلاقي الناس فيه بتتخانق كتير و عاملين مشاكل ليل ونهار.. إعرف علطول إن المكان ده فيه فلوس كويسة "

كلمتين و بس .. على رأي الراحل الجميل ((فؤاد المهندس))، كلمتين وبس حدثتني بهما ((هويدا)) بهدوء حينما أبديت دهشتي من كثرة الخلافات بين الموظفين في مكان ما، ولكن أذكر أنها بدأت الحوار قائلة:

" أكيد المكان ده فيه فلوس " ،

وعندما إنتبهت لما تقول إستطردت قائلة العبارات السابقة بمنتهى البساطة وبدون (فزلكة)، ولكنها لا تعلم أنها رغم بساطة عبارتها إلاّ أنها قد سنت نظرية أو قانون كلما طبقته في حياتي هدأت أوصالي وثَّبَت نظراتي .

نظرية ((هويدا)) ..

إذا ما تحولت إلى معادلة رياضية ستصبح هكذا:

صراعات دائمة + مشاكل متكررة + صخب عالي = منافع كبيرة + أموال كثيرة + منصب و شهرة

و إذا ما تم حذف الصفات ستتحول إلى القانون الآتي:

صراعات + مشاكل + صخب= منافع + أموال + منصب و شهرة

عندما إنتقلت بهذا القانون إلى عالمي الخاص و طبقته على سائر الأمور كانت النتائج مذهلة، وبدأت تتكشَّف لي العديد من الأمور المخفية، وإتصلَت القطع الممزقة المبعثرة لتكمل صوراً ولوحات كانت مشوهة، وإنفكت عُقَد الخيوط فصارت الأقمشة كلها تنساب كالحرير...

وعندما إنتقلت بنفس القانون إلى الشأن العام تجردَت كثير من الشخصيات من ملابسها وصرت أرى عظام أجسادهم وكأنهم تحت الأشعة السينية، أما عندما إنتقلت بالنظرية إلى الشأن العالمي.. غصت في عقول السياسيين وأصحاب الكلمة فتيقنت من الظنون وأدركت لِما كانت معظم الحروب و المذابح، ولماذا تتداعى الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها مثلما حدثنا رسول الله قبل أربعة عشر قرناً... ياله من عالم وضيع!

الجميل في نظرية ((هويدا)) ليس فقط معرفة السبب وراء الصخب والمشاكل أو الصراعات وإنما تطورها بحيث إذا ما طبقتها بطريقة عكسية فستعرف أيضا لماذا بعض الأمور وبعض الأشخاص تأخذ أكبر من حجمها الحقيقي بينما البعض الآخر يتم تسفيهه والتقليل من حجمة ليس إلاّ لعدم وفرة المال به وقلة المنافع أو الشهرة فيه، ونظرية ((هويدا)) ليست هي النظرية الوحيدة في حياتي التي تنتسب لشخص أتى بها إليَّ زائراً وإنصرف تاركاً لي هدية قيمة، فهناك نظريات وقوانين أخرى صادفتني في حياتي مثل نظرية (الزير) لـ(الصباغ) وهي نظرية رائدة في البطالة المقنعة وخلق مهن من العدم..

مدير الزير .. هكذا أطلق طيب الذكر المهندس ((جمال الصباغ)) رحمة الله عليه، وهو الذي عمل لفترة مديراً للمعدات الأرضية بمطار القاهرة، وفي اثناء تلك الفترة كان يسخر من أحد المهندسين غير المتعاونين والذين يتم لفظهم من أي فريق عمل ناجح لصفاتهم السيئة..

- **م. الصباغ:** *انت ما تعرفش ادارة الزير؟*
- **أنا:** *لأ معرفش*
- *بص بقى يا سيدي كان فيه مرة واحد حَب يعمل خير فإشترى زير وملاه مياه وحَط الزير في وسط الطريق للناس يشربوا منه.. بعد شوية طلب من رجل غلبان يقعد جنب الزير عشان يملاه ويحرسه ويغطي الزير.. الراجل الغلبان شاف الناس بتجود عليه بفلوس أو برغيف عيش وبيرموله اللي فيه القسمة.. بعد فترة الرجل الغلبان ده بدأ يبقه ميسور الحال وقرر يجيب ابنه يساعده ويقعد معاه يحرس الزير و عَيِّنُه مشرف أمن الزير.. شويتين وجاب حد من قرايبه يساعده في تجميع الفلوس والحسنات اللي بتطلع من الناس بسبب الزير وعيّنه محاسب ومراجع مالي للزير.. شوية والزير بدأ يتهالك ومحتاج حامل جديد..*

فقرر يعيّن شخص جديد مسئول عن صيانة الزير.. وفضل يجيب واحد ورا التاني لحد ما عمل ادارة كاملة سماها (الإدارة العامة للزير).. وبقه اسمه هو (المدير العام للزير)!

في هذه اللحظة أدركت ما يقصد وادركت أن هناك نظرية جديدة مهمة وهي متكررة بالحياة وفي كثير من الأحيان تتحقق النظرية بحذافيرها أمام اعيننا ولا نأبه لها.. إنها (**نظرية الزير**)..

ببساطة ادركت لماذا لا نحقق النتائج المرجوة لكثير من الخطط والأعمال ذات النوايا الحسنة.. ذلك لأن الزير موجود بأماكن كثيرة، منها القريب والمعتاد كما في الشارع حيثما تود ركن سيارتك، أو عند بيتك حيثما يمكث (البيه البواب)، أو عند دورة المياه حيثما تود تجفيف يديك.. وقد تجد أزوار كثيرة في وزارات ونقابات ومؤسسات كبيرة حيثما يمكث مدراء ورؤساء قطاعات لا نفهم مدى جدواها وما القيمة الحقيقية لها أو ما تدره علينا من نفع، وصرت كلما أرى وظيفة أو عمل لا جدوى منه أتذكر نظرية الزير للصباغ .

خالتي صفية والزير

زير كبير غويط و حويط و مليان حكاوي وأساطير

خالتي صفية دست فيه السم و خالفت كل المحاذير

لأجل تنتقم من حربي وكل مين يكشف سرها الخطير

قالت هاخد بتار عسران وكلامها زيف والحقيقة غير

كذبت على روحها وعلى الناس وهي اضعف من الطير

والعناد والطمع غموا عينيها و خسرت المأمور والغفير

و اترفع الغطا وانكشف الكيد والغل و العمدة الحقير

والزير المليان جَف والشق فيه بان و مات ناس كتير

وضاع العمر أونطة بعد مامشينا بنعرج ورا سراب كبير

ياريتك يا صفية صفيتي ورحلتي،كنا كسرنا وراكِ الزير

- تحية تقدير وإجلال للمؤلف والروائي والقاص والمترجم المصري **بهاء طاهر** الذي رحل عنا في السابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ٢٠٢٢، والذي ألهمني فإقتبست العنوان بتصرف وهذي من روايته الشهيرة **(خالتي صفية والدير)** والتي تحولت إلى مسلسل تليفزيوني أُنتج عام ١٩٩٦ ونجحت نجاحاً كبيراً.

رأيتها مرتين

هناك بعض الأمور العجيبة التي تمر بحياتنا ونكتمها في أنفسنا، فأن نحكيها للآخرين لن يضيف هذا شيء، أو ربما يجلب لنا السخرية و بعض من المشاكل، وهذا ما يعطي هذْي الليل ميزة الطبيب النفسي المعالج، فهو ما يجعلك تفصح عما يدور برأسك أو عما جال بخاطرك بحرية ودون خوف أو قلق من أي توابع.

منذ سنوات صادفت شخصية بسيطة جدا بل وتبدو أغلب مناحي حياتها وكأنها إنتقلت إلى دروب مسدودة سيراً على أقدام وهنة بعد أن أرشدها عقل مشتت ضئيل الفهم، والحكي الصادق يحتم أن أقول أنني نظرت إلى تلك الشخصية ببعض الإستهانة، بل أنني سخرت في نفسي مما حدثتني به في إحدى الجلسات وضحكت عليه مراراً، بل وضحكت كلما تذكرت كيف تسيطر على عقلها بعض الأفكار والأمور العجيبة التي بالإعتياد لا نلقي لها بالاً، وكنت أرى هذه الشخصية بعين من ينظر مِن شرفة الطابق الأول لشخص قابع في نهر الطريق، فكنت لا أوقرها في حديثي عنها إن ذكرتها يوماً، و لكن القَدَر أراد أن يلقني درساً بنهج غير معتاد، فذات ليلة رأيت في منامي رؤيا استطعت أن أفهم منها أن هذا الشخص ربما يكون ذو شأن وأن له قدر كبير ورفعة، وأنني سأقضي أمراً طيباً و نافعاً وسيكون لهذا الشخص أثر فيه....

و حقاً مرت الأيام وحدث ذلك كما رأيت، و قُضي الأمر، و تأكدت من صدق الرؤيا، فبدأت أراقب ما يفعله بعينين مختلفتين، وبدا لي وكأنه يرتقي سلما فيرتفع درجة كل يوم، فقد لاحظت قدراً كبيراً من حوائج الناس تُقضى على يديه، وفي سير هذا الشخص نحو الخير لم أسمع صوتاً لنعاله، فإذا وطئ الأرض كان خفيفاً ليناً حتى يبلغ مراده ويساعد الفقير والمريض والمحتاج.

رأيت شخصاً جديداً وكأني لم أره من قبل، فكان عُبوس الوجه لشعوره بضيق حال بعض الناس، وثيابه بسيطة غير متكلفة حتى يهرول مسرعاً في السعي لفك كربة مكروب، وكان عدم إكتراثه بنظرات الناس إليه لأنه منشغل بنظرة الخالق له ورضاه عنه، وكان يبذل كل ما بوسعه ليزوج يتيماً، أو يعلم أبناء الفقراء، أو يوفر الماء العذب النظيف لمن لا يجدوا، أو ينشر العلم والفضائل بين البسطاء أو.. أو.. كان مثل جمعية خيرية تتنقل ببقاع الأرض، ولكنها جمعية غير مشهرة من دون دعاية ولا إعلان!

الليلة آثرت أن أكتب عن هذه الشخصية وهي تعيش بيننا في هدوء، لا تحب أن يذكرها أحد أو يخصها بالفضل والثناء، فكثير من الناس يرونها ضئيلة، والبعض لا يرونها إلاّ تحت المجهر، ولكني رأيتها مرتين..

بالأمس كنت أحني ظهري لأراها من شرفة الطابق الأول، واليوم أرفع رأسي لأراها تسكن برجاً من ذهب.

أراد القدر أن يلقني درساً بنهج غير معتاد عن طريق تلك الرؤيا التي أنارت بصيرتي، فبالأمس بلّغني نبأ عن شخصية أخرى كنت أراها دوما عالية القدر والمقام، فإذا بها تهوي إلى أرذل الأرذلين بعد أن ثبت عليها تهمة الإختلاس والسرقة، وإذا بي أعيد النظر إليه من جديد، بل وأعيد النظر لأشخاص آخرين فربما أراهم مرتين.

بتضيع حاجات

ساعات كتير بتضيع حاجات منا وسط الزحام
ندَوَر عليها في الضباب ما نعرف كانت حقيقة ولا سراب

و نلف و ندُور .. نسأل عليها ..
عرفنا قيمتها .. ما كانت فإيدينا!

و تعدي شهور وننادي عليها ..
تحلَى صورتها .. تاني في عينينا!

و نرجع نقول ياريتها ماراحت..
كانت لينا ولا ماكانت ؟!!

حواجز كبيرة تخبي أحوالها..
مانعرف تاهت.. ولا غابت

و لما تفلت منا الجواهر يبقى ايه غير اللي صاير
و لما تضيع منا الحاجات يبقى ايه غير اللي فات

و ساعات كتير بتضيع حاجات منا وسط الزحام
ندَوَر عليها بين الركام .. و نلاقيها فات اللي فات

ساعات كتير بتضيع حاجات
ندَوَر عليها في قلب السكات .. و لما نلاقيها ..
مات اللي مات .

Tarek Eid
Sep. 2023

فانتازي دوري المبدعين المصري

((فانتازي الدوري الإنجليزي FPL)) هي لعبة شهيرة استحوذت على فكري وفكر الملايين حول العالم منذ العام ٢٠١٧، وهي ببساطة تقوم على فكرة تشكيل فريق بإنتقاء لاعبيه من فرق الدوري الانجليزي بحد اقصى ثلاثة لاعبين من كل نادي وبميزانية محددة، وبناء على الأداء وتسجيل الأهداف في المباريات يتم احتساب نقاط لهؤلاء اللاعبين بكل جولة، والفائز هو الأعلى رصيد من النقاط بنهاية الموسم.

تلك اللعبة كانت سبباً مهما ضَمَن لي التواصل الدائم مع أصدقاء الطفولة والمراهقة بمدرستي (ليسيه الحرية)، فقد أنشأنا دوري أسميناه (دوري المُحَنَكين) والذي يلعب الآن نسخته الخامسة بعد مرور سنوات من اختيارنا شبه الدائم لـ((مو صلاح)) ككابتن للفريق وانفعالنا مع توقعات غير صائبة، وتوقعات أخرى كأنها أتت لنا عن طريق ((جامايكا)) العفريت السينمائي الذي اشتهر بسبب الفنان ((محمد هنيدي)) في فيلمه الكوميدي (يأأنا ياخالتي)، وكانت المحصلة النهائية لمشاركاتي في نسخ هذا الدوري هي اني فزت فقط باللذة، فلم احقق أفضل من المركز الثاني حتى الآن وفشلت في أن أكون (نمبر وان) المحنكين!

وبما أن صديقي ((رامي)) قد اشتهر بيننا بجملة "المحنك يعظ" بعد كل فوز، فقد قررت أن (أعظ) الليلة بشكل آخر، فسوف أقوم بتشكيل فريق على نسق لعبة (فانتازي) ولكن بشكل مختلف، فسيلعبون بدوري المبدعين المصري، وسيكون قوام الفريق احد عشر لاعباً أساسيين وأربعة احتياطيين، و سأطلق على الفريق اسم ((ريال مطاريد)) وتشكيل الفريق مكون من الكُتاب والشعراء والروائيين والمؤلفين والفنانين التشكيليين المصريين الذين يضاف إلى رصيدهم الإبداعي نقاط جديدة حتى وإن رحلوا عنا.

تشكيل الفريق الأساسي كالآتي: في حراسة المرمى: ((محمد حسنين هيكل))، وخط الدفاع يتألف من ((يوسف ادريس)) و((نجيب محفوظ)) و((احمد شوقي)) و((احسان عبدالقدوس))، أما خط الوسط فيتكون من ((صلاح جاهين)) و((عبدالرحمن الأبنودي)) و((حيد حامد)) و((لينين الرملي)) و((عزالدين نجيب))، وفي الهجوم رأس حربة واحد ((احمد خالد توفيق))، وإحتياطي الفريق (الدكة) سيكون: ((العزب الطيب الطاهر)) لحراسة مرمى، و((فاروق جويدة)) لخط الدفاع، و((السيد عبده سليم)) و((احمد مراد)) لخط الهجوم.

وفي الاسبوع القادم ربما اضغط على خاصية (البطاقة البرية) أو (ضربة حرة) لتبديل الفريق مع اختيار قائد غير متوقع للفريق.. والفانتازي ليس للجبناء.

طارق عيد

توقعات العام القادم

بهدوء توقف النادل أمام المنضدة رافعاً صينيته بكفه الأيسر وبثقة شديدة سحب الطبق الصغير بأطراف أصابعه ليحني خصره ببطئ مرخياً يده بثبات محترف ليضع الطبق الصغير أمام ((هنا)) معلناً عن قدوم فنجان القهوة المفضل لديها.

كان الفنجان ساخناً تتصعد منه الأبخرة كأنما يزفر ألماً في ليلة شتاء برد قارص مما لفت إنتباه ((كامل)) الذي جلس وحيداً على بعد أمتار قليلة يرمق الفنجان من طرف المنضدة المقابلة مردداً في ذاته: "*ليتك تنكسر.. أنت السبب أيها الفنجان اللعين*"، ثم بعث إلى الفنجان بإبتسامة سخرية متذكراً قول العرافة قبل عقدين عندما نظرت إلى قاع فنجانه وقالت له وهو ينظر إليها بشغف بين زملائه: "*أنا أرى قبعات كثيرة في فنجانك.. إنهم أغراب ستذهب إليهم وتعيش بينهم.. نجاحك سيكون عندهم.. ربما أوروبا أو أمريكا...*"

لم تُبد ((هنا)) أي إكتراث بحال الفنجان الساخن ومَكثت في شرودها المزمن حتى إنتبهت إلى كتاب صغير أعلى الرفوف داخل المقهى (الكافيه)، كان الكتاب من نوعية كتب الأبراج التي لطالما أحبتها وكانت هي ولعها منذ الصغر، ولكن في هذه المرة لم تنظر ((هنا)) إلى الكتاب بأي شغف وإنما ملأت قسمات وجهها علامات الغل والإستحقار حتى أنها لم تتمالك فرائصها وقبضت على الفنجان الساخن بقوة كادت تخلع معها أذنه ..

إنتبه ((كامل)) لحركة يدها وأحس في نفسه رغبة قوية تدفعه لأن يفعل مثلها ويحييها على تلك القبضة القوية التي تمنى لو كسر معها ذلك الفنجان الحقير الكذاب.

كانت ((هنا)) حريصة على معرفة رأي الفلك والنجوم في مقدراتها، وكانت تؤمن بمعظم ما يدونه العلماء والخبراء في كتب الفلك، وهذا ما جعلها توافق على الإرتباط بـ((عادل)) لأنه من مواليد برج (الدلو) المتوافق مع برجها (الجوزاء)، بل ورَفَضت ((شريف)) وانصرفت عنه لأنه من مواليد برج (العذراء) غير المتوافق معها.. "*يالها من سذاجة وغباء !* " .. قالتها ((هنا)) بصوت لم يسمعه غيرها ثم إلتفتت برهة إلى صفحة فنجان القهوة التي بدأ البخار المتصاعد منها يهدأ رويداً رويداً، بينما لم يهدأ حنق ((كامل)) الذي صرخ في نفسه: "*أي أحمق هذا الذي يتزوج من سيدة أجنبية تكبره بخمسة عشر عاماً ليطير معها إلى أوروبا ؟!* "

حاول ((كامل)) صرف ذهنه عن الفنجان فتناول قائمة الطعام والمشروبات و مَر بعينيه على كل ما فيها ولكن فجأة ظهرت أمامه قائمة أخرى يتذكرها جيداً، بل وتمنى يوما

لو لم يوقِع عليها ولكن قهر ((إيما)) كان لا يحتمل بعد أن إكتشف خيانتها ولم يجد بداً من طلاقها ليحافظ على شيئ ما تبقى في قعر فنجان نخوته، فسلبت منه قائمة بنصف ما صنعه طيلة سبع سنوات أمضاها كالثور مغمض العينين في حقول الريف الأوروبي.

في تلك الأثناء رفعت ((هنا)) الفنجان ورَشفَت رشفة سريعة تذوقت معها طعم البُن (المخصوص) الذي عرفته في بيت جدتها وأحبته فصار أُنسها، ثم صدرته مفتونة إلى كل مكان تمكث فيه لتظل تحتسيه وتتذوق نكهته الممزوجة ببعض المرارة الممتعة التي تشبه ما ألفته من شراب تجرعته سنوات على يد صاحب برج (الدلو).. إرتاحت ((هنا)) قليلاً لمذاق البن الذي تعودت عليه، فمدت يدها ممسكة بهاتفها المحمول و أخذت تقلب بين الصور المخزنة في ذاكرته حتى إستقرت على صورة طفلها ((شهاب)) والذي إختارت إسمه بعناية لإيمانها بأنه من أسماء السعد لبرجه الفلكي (الحمل)، ولكنه لم يحظى بحظ وفير كما حسبت، فبعد مولده بعامين إنفصلت عن أبيه لعدم توافق خصالهما ولإصرار ((عادل)) على إستضافة أمه المسنة ما تبقى من عمرها في بيتهما، فما طاقت ((هنا)) إنتقاداتها اللاذعة وصار الشِجار شيئاً روتينياً كباب حظك اليوم الذي يتذيل صفحات الجرائد اليومية.

عاد ((كامل)) إلى قائمة الطعام والمشروبات من جديد، ولكن سرعان ما نحَّاها جانباً رافعاً هامته ينظر بإهتمام بالغ صوب شاشة التلفاز التي تعرض برنامجاً يتحدث فيه أحد المنجمين عن توقعاته للعام الجديد، فإبتسم مستهزئاً وتذكر يوم إحتفل برأس السنة مع حبيبته الأولى ((سارة)) وتمنيا أن يجمعهما بيتٌ واحد، وكان هذا الأمر في خلديهما محسوماً، فقد كشفت إحدى زميلات ((سارة)) عن باطن كفيهما وفَكت طلاسمه وتنبأت لهما بأنهما سيكونان في بيت واحد بعد عامين وسينجبان ثلاثة أطفال، وقَبل إنقضاء العام الأول كانت ((سارة)) في بيت زوج آخر بعدما رفض أبوها زواجه منها!

لم يكن ((كامل)) هو الشخص الوحيد الذي لفت إنتباهه حديث المنجم، فقد تابعت ((هنا)) كل ما يقوله بشغف وظلت تتساءل في نفسها: "*ماذا عن برج الجوزاء؟ لماذا لا يتحدث عن نصيب برج الجوزاء في العام القادم؟!*"

و بينما ((هنا)) في حالة شغف بما يقال لم تنتبه لحركات يدها فصدمت بساعدها فنجان القهوة فهوَى على الأرض وغَطَى صوت تهشمه على كل الأصوات بالمكان، فإلتفت الجميع صوبها ليكتسى وجهها بحمرة الخجل، فيما إرتسمت إبتسامة عجيبة على وجه ((كامل)) والذي هَب نحوها يحذرها أن تطأ بقدميها على البقايا الحادة المتهشمة حتى لا تنجرح، ثم قال لها بنبرة حانية يهدئ من روعها:

- معلش .. دَلق القهوة خير .. مالكيش نصيب فيها.

قهوتي

قهوتي ماتِفرقش عني كتير.. وشَّها يخفي سِر خطير

لو أبوح بقعر الفنجان .. يمكن تزول الأشجان

و حبة مرار على طرف لسان .. يحكولك قد إيه الظرف عسير

الموظفون تحت الأرض

بعد أن شربت فنجان القهوة و(صحصحت) وعيني (فنجلت).. وتأملت حالي وحال من يعمل موظفاً ويتقاضى مرتباً بنهاية الشر ويتبخر بعد عشرة أيام فقط!

عادة لا أود أن أكتب مثل هذه الأمور لأن الصحافة والإعلام عادة ما يقتلاها (هرياً)، لكن الليلة سأهذي بها على ألحان وأنين ما بعد جراحة (الناسور) الذي يشبه نفق (الأزهر) والذي شق طريقه بالنصف الأسفل من جسدي.

لا أدري لماذا اجلس الليلة على الأريكة في حالة تقمص لشخصية ((الكحيت)) الرائعة التي ابتكرها المبدع الراحل ((احمد رجب))، و رسمها المبدع نقيب الفنانين التشكيليين الراحل ((مصطفى حسين))، وجسدها المحبب إلى قلبي الراحل ((احمد راتب)).

تناولت السيجار المصري الفخم المستورد من رصيف ميناء المخبز الأفرنجي، والذي يأتيني (وصاية) في حقيبة طيار ماهر يشق طريقه في شوارع العاصمة كالنحلة.

غمست طرف السيجار (أبو سمسم) في كوب الشاي قبل أن يعود بين شفتَيّ مرة أخرى وبدأت أدلي بدلوي في الأوضاع الاقتصادية الراهنة..

بصفتي رئيس الحكومة الهَذياوية الكُنافِجلاوية أعلن أننا ننحاز للمواطن الفقير ولكل محدودي الدخل، ويجب أن نضاعف أجور العاملين وكل موظفي الدولة بحاصل ضرب إجمالي مرتب الفرد × عشرة اضعاف، وليس الأجور فقط ولكن المعاشات أيضاً، ولا يحسب خبراء الاقتصاد أن المواطن سيقتنع كثيراً بتلك الشهادات البنكية المؤقتة ذات الفائدة المرتفعة والتي تصب كل شهر أو كل ثلاثة أو حتى سنة، لأن القرارات التي تصب في مصلحته أصبحت ذات وتيرة متسارعة ودَورتها قصيرة كعمر الذبابة.. كما أن المصلحة في فترة نقاهة.

إن الموظف الغلبان رأس ماله هو صحته وعمله وخبرته المهنية المكتسبة "وإللي جاي أقل من إللي رايح"، فبعد أن يأكل ويشرب ويلبس هو وأسرته ويسدد مصاريف المدرسة وما حولها من مصاريف ثانوية، كيف له إدخار مبلغ نقدي كبير ليودعه في بنك يُدِر عليه دخلاً شهرياً يساعده في التغلب على صعوبات الحياة؟!
و كيف له أن يدخر و (الإربة مخرومة) وقد زادت قيمة السلع بعد الرفع الجزئي للدعم على الوقود؟ وبعد زيادة فاتورة الكهرباء والغاز و المياه و.. و.. و..؟!

و (الأسخم) هو ما فُرض عليه من ضريبة أو رسوم بما يعرف بالضريبة المضافة، واسمها (مضافة)لأنها تضاف كما تضاف الكريزة أعلى الـ(التورتة) وكما تضاف مكسبات الطعم إلى الحلوى.

و إن كان (الموظفون في الأرض) وهو الفيلم الذي تم إنتاجه عام ١٩٨٥ و قام فيه الفنان الراحل ((فريد شوقي)) بتجسيد شخصية مديرعام يلجأ للتسول، فإن الموظفين ومحدودي الدخل قد استيقظوا أول أمس ليجدوا أنفسهم قد سقطوا منذ سنوات في خندق طويل وصاروا مكبلين تحت الأرض بعد أن تفاقمت الأعباء والأحمال فوق رقابهم، وليس هناك بدائل متوفرة لهم، وإقتصاد الريع يسيطر على الموقف، والتجار ماضون في الإحتكارات، والطبقة المتوسطة تبحث عن شراء الذهب و(تسقيع) الأراضي والعقارات، والفقراء يفكرون في عجلات (التوكتوك).

لهذا كلفت السادة المقاولين الكبار بدراسة فكرة إنشاء (كومباوندز) تحت الأرض بنظام (الجراج) متعدد الطوابق، وهذا في اطار دفع عجلة التنمية نحو إقتصاد منتج ومستدام قادر على تحسين الأحوال المعيشية، ولحين وصول العجلة.. فإن الإنتاج الوحيد الذي يبدو انه سيستمر الفترة القادمة وبمعدلات زيادة كبيرة هو انجاب الأطفال.

ولن يستمر الحال طويلاً وسيتبدل إلى الأفضل بالإتجاه المكثف نحو الزراعة والصناعة ورفع جودة التعليم الفني، وإذا لم يحدث هذا فسنعيد الكَّرة مرة ثالثة كما فعلناها من قبل في التسعينيات وكما فعلناها قبل عقد مضى بعد تعويم العملة التي لم تصمد وإنهارت جزئياً كما ينهار جزء من الجبل فيسقط سيلاً مندفعاً يُغرق مدينة ويشرد أهلها .

وتحرير سعر الصرف وإرتفاع قيمة الدولار، و الدينار، والسولار .. صار أشبه بالدواء المُر الإضطراري والشافي، وأنا أراه أشبه بعملية (ناسور شرجي) مؤلمة وصعبة على مريضٍ بائس اسمه (الموظف)، فإذا ما تمت العملية بحرص شديد ولم تتم متابعة المريض جيداً بعد العملية، فستكون لها مضاعفات مستقبلية خطيرة جداً على الجسد كله، أرجو من الله أن يستفيق منها وينهض من جديد.

حان الوقت الذي سنقلب فيه الفنجان، ونعاود النظر والتفحص فيه من جديد.. ربما نرى بداخله نفقاً ذا نهاية مضيئة، أو مستقبلاً يجلس فيه الموظفون يتسامرون فوق ربوة جميلة هادئة والأموال تتدفق إليهم من ماكينات صرف النقود الـ (ATM) كالشلاّلات، وينامون على صوت البلبل والكروان دون مسكنات.

Tarek Eid
Sep. 2023

تهنئة من موظف لزوجته بمناسبة عيد الأضحى

زوجتي الحبيبة الصبورة المهاوده
بكتبلك في عيد الأضحى كلمتين

من حبي فيكي قمت و سبت المخدة
و سايبلك تحتها ورقة بـ ٢٠٠

رحت أشقَى عشان العيال تتغدَى
و بدل كيلو لحمة.. أهو يبقوا اتنين

معلش أصل شركتنا باينها معانده
و العلاوة مانزلتش يوم الاتنين

بيقولوا مالحقوش يعتمدوها انهارده
لكن أكيد هتنزل و فوقيها بوستين

و بيقولوا مصاريف المدارس مش زايده
يادوب من خمستاشر ألف لسبعين

زوجتي الجميلة الصبورة المهاوده
بلدنا جايه بس تقلانا علينا حبيتين

و أوعِي تزهقي و تقولي مفيش فايده
بيتنا مش فاضي .. بيتنا فيه حمَّامين

عشرة هذي

- أحياناً أشعر أن من إبتكر مرآة السيارة الجانبية قد إستوحاها من إصبع القدم الصغير.. الإثنان لهما نفس خاصية الميل نحو (اللَطْش)!
- عندما تعطل التلفاز الصغير في غرفة إقامتي بالعمل وصار صورة فقط بدون صوت، زادت ثرثرتي بالهاتف المحمول.. كيف تحمل أهل زمان العيش في هدوء بدون ثرثرة الـ (توك شو)؟!
- في مراهقتي كانت ((فيفي عبده)) الراقصة والنجمة الإستعراضية الأولى التي تمتعنا بـ (عَشَرة بلدي)، والآن صارت ((فوفه)) تكَّرم كأم مثالية وإنقسمت عشرتها البلدي إلى (خمسة مواه) و (خمسة و خميسة).
- بعد أي حادث قطار في مصر، دائما ما تتصادم قطارات آخرى في الهند أو بنجلادش أو في أي بلد آخر.. هل هي مشاركة وجدانية؟ أم كائنات فضائية غريبة تعيش بيننا وتتلاعب بالقضبان؟
- لماذا يذكرني شعار السيارة ((مازيراتي)) الإيطالية بـ((ثروت أبوتلاتة))؟ وهو الدور الذي قام به الفنان الراحل ((شعبان حسين)) في مسلسل (يوميات ونيس) عندما كان يشير بثلاثة أصابع قائلاً بتفاخر مستفز:"*ثلاثة*".. "*تلاتة مليون*"!
- كل زوج تزوج من امرأة برج الحوت وجب عليه إرسال برقية شكر إلى ((عمرو دياب)) لأنه تسبب في إيجاد وصفة فعالة لإيقاف نكد الزوجية..
" لو مراتك هتبدأ تنكد وهي برج الحوت .. شغلها فورا ولله لأحبك موت..".
- يقال أن الشخص يختار في حواره العادي الألفاظ والمسميات والأفعال التي يستخدمها في عمله اليومي أو تميل نحو طبيعة وظيفته، وهذا ما يجعلني أتأمل تصريح الإعلام الحكومي المتكرر: "*تصب في مصلحة المواطن*".
- عرفت المعنى والفارق بين (مَن وَجَد) و (من حُرِم).. السوريون في مصر يبحثون عن العمل الذي يوفر لهم الكسب.. أما سوادنا الأعظم، فيبحثون عن الكسب الذي يوفر عنهم العمل!
- أعتقد ان مصمم العملة (البلاستيك) قد استوحى الجزء الشفاف من المُخبر الشهير (أبو جورنال مخروم) في افلام زمان.
- تحدثَت الصحافة الغربية عن أنفاق (غزة) وقالت أنها اطول من مترو انفاق (لندن)، وهذا ما يجعلني اتساءل:

" لو سمحت هو فاضل كام محطة على القدس ؟"

القدس
لنا
11-2023
طارق عيد

آسفين يا بهظ

مشهد سينمائي عبقري حاكه العبقري ((محمود أبوزيد)) في فيلم (الكيف).. المشهد لا أنساه.. وكلما قرأت أو سمعت أو شاهدت إنتاجاً مليء بالهوس الجنسي تذكرته.

المشهد نابع من قلب الحياة الفاسدة وتجَسَد على الشاشة الفضية ثم إنتقل من الشاشة الفضية ليعود إلى الحياة الواقعية مرة أخرى كشاهد على مقبرة الذوق والرقي في بلادنا...

- **د. صلاح أبو العزم** (يحيى الفخراني): *إنت شيطان*
- **سليم البهظ** (جميل راتب): *النـاس هما إللي مغفلين.. وفي شهوتهم غرقانين*
- **د. صلاح**: *انت و الغشاشين اللي زيك اللي بتغرقوهم ..*
- **البهظ**: *إللي يقف ع البر ما يغرقش.. إحنا ماضربناش حد على إيده.. إللي بيحبنا هو إللي بيرمي روحه في حضننا..*
- **د. صلاح**: *في دي عندك حق*
- **البهظ**: *زمان كنت بغش الشاي بنشارة خشب وأبيعه في بواكي.. شكلها حلو مكتوب عليها شاي "أبو الأصـول" .. كسبت والماركة بقالها اسم وسَمَّعِت.. وفجـأة.. النشارة غليّت والنجارين اتملعنوا.. عبينا الشاي من غير نِشارة.. تعرف حصـل إيه؟*
- **د. صلاح**: *حصل إيه؟*
- **البهظ**: *اتخرب بيتي وفَلِست..الزباين طفشت وقالوا عليا غشيت الشاي.. مش بقولك مغفلين!*
- **د.صلاح**: *هما مش مغفلين.. إللي زيك إللي فسدوا ذوقهم.. عودتوهم على الوحِش لغاية ما نسيوا طعم الحلو .....*

حوار رائع يجسد واقع مرير نعيشه منذ نصف قرن، لذلك لن أهدي هذا الحوار إلى ((البهظ)) الذي شاعت أفلامه أو أغانيه أو حتى رواياته كالشاي المغشوش بنشارة الخشب، ولكن سأهديه لمن يشتري ويدفع له، فإن الجاني هو من يعجب بـ (كِيف البهظ) ومَن ينتظر منه كل مغشوش... سحقاً لك أيها المستمتع، وعذراً لكل ((بهظ)) رأى فينا ما ينقصنا وما لا نستطيع أن نلفظه أو حتى نمتنع عنه.

حدوتة قمامة الليل

لم يغفل العديد من النبهاء علاقة القمامة بالليل، وكثير منهم إهتموا بظاهرة حمل كثير من الشباب لأكياس سوداء (مبعجرة) في كل مرة يخرجون فيها من البيت ليلاً بوجه عابس، ولعل هذا ما ذكرني بقصة سمعتها منذ فترة قد رواها أحد خطباء المساجد.

في كثير من الأحيان نتذكر قصة ما وأحداثها والمراد منها لكن لا نتذكر مناسبتها أو من كان الراوي، والقصة التي رواها الخطيب هي من الصنف الذي لا تتذكر تحديداً من كان أبطالها ولا المكان ولا الزمان وإنما أحداثها تظل معلقة بالذاكرة، وهي بإختصار قصة لشخص ثري كان يترك منزله في ظلمة الليل ويذهب في رحلة قصيرة إلى مكان ما ثم يعود إلى بيته من دون أن يتحدث إلى أحد ثم يخلد إلى فراشه وينام بهدوء...

عندما تكرر الأمر إرتابت الزوجة وقررت أن ترسل أحد الأبناء ليتبعه ويراقب ما يفعل ثم يأتيها بالخبر اليقين، فما كان من الإبن إلاّ أن إنصاع لرغبة أمه في جوف الليل وسار خلف أبيه ليقتفي ظله من شارع إلى شارع ومن درب إلى درب حتى أبصر الأب يتوقف فجأة عند أرض فضاء مهجورة ومليئة بأكوام من القمامة، وهناك ظل الأب ساكناً لا يتحرك قبل أن يركن إلى بقايا حائط مهدم، وبعد دقائق عاد ليسير من حيث أتى..

توقع الإبن عودة أبيه إلى المنزل فسبقه وحكا للأم ما رأى فإندهشت وظَنا أنه ربما قد شعر به يتبعه فضلله ببقائه في مكان مهجور، ولهذا قررت الأم أن تقوم بمهمة تتبع الزوج بنفسها حتى تتأكد ويطمئن قلبها، فإنتظرت أيام حتى عاد الزوج ليخرج في ليل دامس تاركاً فراشه الوثير، فنهضت من خلفه دون أن يشعر وتفقَّته في كل خطوة يخطوها حتى وجدته يقف في أرض فضاء عند أكوام القمامة ويمكث فيها فترة ثم يدير وجهه عائداً إلى البيت مرة أخرى!

كان أمراً عجيباً ومحيراً ما يفعله هذا الثري، و كلما حاولت الزوجة أن تسأله عن مقصده ليلاً أو حاولت معرفة ماذا يفعل راوغها ولم يجبها، حتى جن جنونها في إحدى المرات وإستوقفته مع إبنهما وباحا له بتتبعهما له مرات وعلمهما بذهابه إلى الفضاء المهجور عند أكوام القمامة، بل وأصرا على معرفة ما يفعله في كل ليلة يخرج فيها، فسكت الأب قليلاً قبل أن يضطر للإجابة قائلاً:

- *قبل أن ألبس الحرير وأنام في بيتٍ مزخرف كالذي نحن فيه الآن .. كنت فقيراً و كنت بالكاد أجد قوت يومي ..*

و قد أشتغلت صغيراً في رفع القمامة.. وعشت بين أكوامها أعواما طويلة حتى إختلط عَرَقي برائحتها ..

إندهشا الأم والأبن مستنكرين قوله، ولكنه لم يأبه لهما وأردف حاكياً:

- *وفي كل ليلة يجافيني فيها الوسن أو أشعر بأرق.. أجد نفسي في شوق وحنين لتلك الرائحة التي إعتادت أنفي أن تشُمها و تصدر من القمامة، فتدفعاني قدماي نحو ما رأيتموني عنده وأمكث أتنسم عبيراً يرتاح له صدري فتمتلئ ضلوعي منه وتهدأ فرائصي وخلجاتي بما أتذكره من ليال لا يعلم ما مر في سترها إلاَّ الله.. وأعود إلى المضجع ها هنا في نشوة وسرور فأنام نوماً هانئاً وأصبح مع شمس يوم جديد في خير حال.*

هكذا كانت القصة أو ماتذكرته منها، وأذكر أن الخطيب قد ألح في النهي عن البقاء على المعصية فترة طويلة ونبذها وتركها قبل إعتياد النفس عليها، وأذكر أيضاً أنني كنت أفكر حينها في الأسباب التي أعادت إلى مجتمعنا أساليب وأنماط قديمة وجعلت من بعض الأشخاص (منتهية الصلاحية) واجهة للظهور مرة أخرى ومِن آن لآخر بعد أن لفظهم الشعب منذ سنوات وتمرد على قمامتهم!

قطعاً هو الإعتياد.. لقد إعتادوا رائحة القمامة!

Tarek Eid
11-2023

اكذب اكذب حتى انصرف عنك

- لماذا كذبت ؟!

-- أنا لم أكذب

- إذن بماذا تفسر .... ؟

-- أخطأت ... وهل انت لا تخطئ ؟

- كلنا مذنبون.. و لكنك كذبت في كل مرة كنت أسألك !

-- لأنني لم أرد أن يفتضح الأمر فتحدث مشكلة بيني و بينك أو أن أسقط من نظرك ونظرات الناس..

- ولماذا لم تصارحني فربما كنت ساعدتك على تجاوز الأمر؟!

-- أنت لن تستطيع ان تفعل شيئ حيال الأمر.. و ربما كنت أصلحت الأمر بنفسي قبل أن تعلمه ..

- والآن ماذا سنفعل بعد أن أفسدت الأمر برمته؟

-- سأحاول أن ..... وسأفعل ... وساعيد ..... ولن ....و... و..

- هيهات .. فلتذهب بعيداً عني فلا أطيق الكذاب

-- أنا كذاب ؟!

- للأسف انت اكثر من ذلك .. وأنا أصدَق مَن وثق بك

هذ الحوار المتكرر إهداء لكل كذاب عرفته، مع الوضع في الاعتبار أن كلمة (كذاب) هي صيغة المبالغة من كلمة (كاذب).

العربي الفسيح

يقول د.مصطفى محمود (رحمه الله) في روايته ((العنكبوت)): "هذا الوَش الذي أسمعه حينما أحرك مؤشر الراديو، قد لا يكون وشا، قد يكون لغة أخرى لا أعرف شفرتها"، ولعل الأيام قد أثبتت صحة هذه المقولة، فإذا ما مَر الأب أو الجَد بصخب عال لا يطيقه ولا يفهمه، فستجد بجواره الإبن أو الحفيد الصغير يردد كلمات بنفس الإيقاع وبإبتهاج شديد، وربما يتشنج معها جسده ليدرك المستمع أن هذا (الوش) هو لغة لا يفهمها وتدعَى (المهرجانات)!

وإن كان (وش) المهرجانات هو لغة عجيبة لا يعرفها البعض، فإن الأعجب هو أن تتحول اللغة الحقيقية حسنة الإيقاع إلى (وش)!

ولنتخيل سوياً شخص ما نسأله: -*أيهما أفضل.. الطريق الأيمن أم الطريق الأيسر؟* فيرد الشخص:- *عفوا لا أفهم كلمة الأيسر؟*

- *أقصد الجهة اليسرى.. اليد التي لا نأكل بها*

- *ما تقول ياعم شِمال.. انت هتاكل دماغي ليه؟!*

هذا الحوار هو مشهد افتراضي لحالي مع كثير من الأشخاص عندما أسألهم عن رأيهم في قصة أو مقال أو أي عمل أدبي، وليس شرطاً أن أكون أنا الكاتب، وللعجب فإن عادة الصدمة أن تأتيني من المتعلمين "بتوع المدارس"، ولا أقصد تعليم إبتدائي أو متوسط، بل تعليم جامعي .. "آه والله الجامعي"...

كنت أظن في البداية أنها مجرد طفرة أو حالة فردية لشخص ما حصل على الشهادة الجامعية وهو لا يحب القراءة، أو ربما كان "تعليم مجاني" مثلما يقولون، ثم بدأت أشك في لغتي العربية، فراجعت كثيراً مما أكتبه فوجدته عادي وبسيط ولا ينطوي على أسلوب أدبي أو فلسفي مقعر مثلما يفعل كثير من الكُتاب، فإحترت في الأمر.. "أين الخلل؟!"

ذات يوم إعترفَت لي إحدى خريجات كلية الإعلام وكانت تنظم شعراً عامياً وقالت أنها لا تقرأ روايات أو شعر باللغة العربية الفصحى لأنها عادة لا تفهمه، وموظف آخر ذو خلفية عسكرية قال لي أنه يشتري فقط الكتب الكبيرة ذات الطباعة الأنيقة أو بعض كتب مشاهير الكُتاب ويضعها في مكتبة بيته لتقع عليها أعين الضيوف كلما زاروه! أيضاً قد انتشرت في الآونة الأخيرة عادة (موضة) كتابة الرواية بالمصرية العامية، على غرار شعر العامية، وقد قرأت "مجاملة" عينة من تلك الروايات وكان مكتوب عليها "الطبعة الثانية"، فإنضممت إلى المغفلين ممن إشتروا الطبعة الأولى، وللأسف

أحسست بضيق من "حكاوي المصطبة" التي قرأتها، وشعرت في بعض الأحيان أنني أقرأ (سكريبت) برنامج تلفزيوني للإعلامية ((ريهام سعيد))، وللأسف ندمت كثيراً على مجاملتي لمن كتبت هذا الكتاب، لأن الموقف برمته كان أشبه بطعام مذاقه سيئ طبَخته لنا زوجة أحد الأصدقاء فوجب الثناء من أجل أن ينام الصديق هانئ في بيته.

مَن أعاب على التعليم المجاني لم ير التعليم (أبوفلوس) غير المجاني، ولم ير الأخطاء الإملائية الفادحة لخريجي المدارس ذات المصاريف المرتفعة، وخصوصا الأخطاء المتعلقة بحروف الـ (زين، ذال، ظاء) و(الهمزات) و(الدال والضاد والظاء) و(السين والصاد)، بل والأسوأ من ذلك هم هؤلاء الأغلبية ممن أكملوا دراستهم بالجامعات الدولية، والساخرون من ألفاظ اللغة العربية الفصحى، والذين لا يخلوا حديثهم من ألفاظ و جُمل أجنبية دخيلة لها الدلالة على الأموال التي أُنفقت في التعليم الدولي باهظ الثمن، ومعظمهم يفضلون كتابة العامية أثناء التحاور (الشات) بحروف لاتينية.

لا أود أن أكتب عن قوة وعظمة ومرونة اللغة العربية بقدر ما أود أن أكتب بها.. فهي معشوقتي وهي لي فسحة بين حصص اللغط اليومي، وقد فرحت وعلمت أين يكمن الداء عندما قرأت أن الشباب الأوروبي كانوا يأتون إلى الأندلس ليتلقوا العلم، وكانت لغة العلم آنذاك هي اللغة العربية، فكان الشاب الغربي إذا رجع إلى بلاده يفتخر أمام أقرانه ويخلط كلامه أحياناً بألفاظ عربية، ثم يعود ليتكلم بلغته الأصلية.. إذن فإن العلم هو سيد الموقف، وهو عربة الجرار التي تقود قطار اللغة.

ومما لفت انتباهي في اللغة العربية هو الإيجاز في التراكيب والألفاظ التي يصعب التعبير عنها في اللغات الأخرى، فمثلاً نقول في العربية: (هيهات) ونقول في الإنجليزية it is too far، ونقول (شتان) بينما نقول في الإنجليزية there is a great difference، كذلك قدرة اللغة العربية على تمييز الأنواع المتباينة والأفراد المتفاوتة والأحوال المختلفة سواء في ذلك الأمور الحسية أوالمعنوية، فمثلاً إذا تحدثت عن المشيّ وجدت له أنواعاً.. درج، حبا، حجل، خطر، دلف، رسف، تبختر، تخلج، أهطع، هرول، تهادى، تأود... لذلك فإن اللغة العربية واسعة كالبحر، ومُحكمة البناء كخلية النحل، فتتنوع وتتشكل لتهب المتحدث أو الكاتب امكانية تحديد الوصف بدقة، والحالة والزمان والمكان والايقاع...إلخ، إنها بلغة العصر الذي نعيشه وكما يقول البائعون في متجر الأجهزة الكهربائية (مالتي أوبشن).

وفي اليوم العالمي للغة العربية -١٨ ديسمبر– أتقدم للغة العربية بكل الإحترام والتقدير والإعجاب، وأراها دائماً كالحسناء الجميلة الرشيقة الفاتنة التي يليق بها كل الثياب.. والتي لديها من التنوع في الخصائص الصوتية والاشتقاق والألفاظ والبناء والصيغة والوزن ما يجعلها فسيحة وقت التفكير، و فصيحة عند التعبير.

نسيج الكلام

نسيج الكلام يتقاس بالمقام والوزن فيه عَلَام

مش أي كلام يخش القلب .. و ينوَّر الأفهام

إرمي مصلحتك وراك .. و ماتخليهاش قدام

و إنسج سطورك من حروف الحق و السلام

صدقك لا يهلكك .. و لا عمرك تعيش متهان

المكسرات

منذ فترة وتحديداً عندما قررت الحكومة رفع الضريبة حوالي٤٠% على السلع الترفيهية أو السلع الإستفزازية كما يطلق عليها جهابزة الإقتصاد الوطني، شملت القائمة بعض السلع الغريبة وغير محدد مدى رفاهيتها مثل: الفُوَّط وحمالات الصدر والبِدل ورابطات العنق للرجال.. وصراحة لم أفهم حينها، بل ومازلت لا أفهم إلى أي مدى تصل رفاهية أو إستفزازية تلك السلع لفارضي الضريبة؟! ولكن كان واجب حتمي أن أمرر مثل هذه الأمور على عقلي بسلاسة لأن الإقتصاد يعاني وقد أوشك أن يهذي مثلي الآن.. وبين قوائم السلع التي تُفرض عليها الضريبة ويزيد سعرها بصورة مبالغ فيها سيجد كل فرد منا على الأقل سلعة يحبها ويشتريها بكثرة (أو كان يشتريها)، ولعل أكثر ما استفزني في السلع الإستفزازية هي (المِكَسَّرات).. تلك النعمة التي مَنَ الله بها على البشرية وجعلها متنوعة ومختلفة الأُكل، والفوائد أيضاً.. (المكسرات) لا تمثل لي مجرد تسلية أو مذاق جميل، وإنما هي فلسفة حياة، فكثير من الأكلات لا نأكلها إلاّ لنصل إلى (المكسرات) المحشوة بداخلها "*وحشتني قطايف وكنافة رمضان*"، والكثير من الطعام أيضاً لا نأكله إلاّ لوجود (المكسرات) فوقه، وكل من يعشق (المكسرات) يعرف تماماً ما أقصده وما أشعر به من لذة عندما تمتزج (المكسرات) بالأكلة المفضلة، أو تدخل فمك بعد عناء يوم ذهبت فيه إلى شئون العاملين أو شئون الدارسين، أو أي شئون.. لذة (المكسرات) هي ما تجعلنا نطيق بعض المرارة ونمرر كثير من المذاق الصادم لألسنتنا حتى نفوز بلوزة أو بندقة صغيرة، أو فتات من الفستق أو عين جمل أو كاجو أو حتى الفول السوداني، كلها قطع صغيرة تأمرنا بكل الحب أن نتحمل (دبش) أكبر.. وأعتقد أن كل الشعوب التي تعرف قيمة (المكسرات) وتقدرها، هي شعوب صاحبة وعي وصبر وحكمة، ولا أقصد القيمة الغذائية أو السعرات الحرارية التي تزخر بها (المكسرات)، وإنما أقصد القيمة المعنوية والسعرات الإنسانية، تلك السعرات التي إفتقدتها منظومة التعليم ومنظومة العمل ومنظومات أخرى لا تعرف إلاّ المذاق الواحد واللون الواحد والدرب الواحد والجفاء والجفاف والتعسير فيما تقدمه لنا.. وفي النهاية لا أدري إن كنت محقاً فيما سأكتبه أم لا، ولكن الحقيقة شبه المؤكدة لي هي أن فارض الضريبة على (المكسرات) هو نفسه الطفل الصغير الذي خطف مني الكرة ورَكض بها أثناء لعبي مباريات كرة القدم في الفسحة المدرسية منذ سبعة وثلاثين عام، وعندما كبُر صار هو الشخص الذي جعل مشاهدة البطولات الرياضية بإشتراك مالي، وهو أيضاً نفس ذات الشخص الذي يبخل ويحرم الأبطال الرياضيين من السفر للإعداد بمعسكرات أكثر احترافية، وهو أيضاً من ينزع الأمال من حياة الشباب حتى صارت حياتهم بلا حشو ولا زيادة، فمات الكثير منهم غرقاً أثناء الفرار على متن قارب فقير.

Tarek Eid
6-2023

لما صاحت فينا الغيوم

لما صاحت فينا الغيوم

وإرتعش جسدنا من الخوف

قلنا و ماله ما إحنا متنا في بلدنا

بدل المرة ألوف

وليه يا بحر قسيت علينا

و إحنا الغلابة الشقيانين

لو كانت الأرض رضيت بينا

ماكُناش جينالك هربانين

إم إم نيوز

عندما رأيت طفلتي الصغيرة تلهو بلعبتها المفضلة (فقاعات الصابون)، لا أدري لماذا بدر إلى ذهني ((إم إم))، ليس لأنه يشبه الفقاعة وإنما لكثرة المشاكل التي يفتعلها دوما، فيخرج من فمه ما يطلق العنان لمجموعة من فقاعات المشاكل المتطايرة المختلفة في الأحجام وفي المدى الزمني القصير الذى تبقى فيه الفقاعة معلقة في الهواء خاطفة أنظار الناس والذين بدورهم يتابعون ويترقبون ما ستؤول إليه في النهاية، رغم العلم واليقين بأن النهاية هي لا شيء.. هواء سيعود إلى الهواء!

عندما نكون في نزهة خارج البيت وتبدأ ابنتي باللهو بلعبة (فقاعات الصابون)، ينضم إليها مجموعة من الأطفال فمنهم من ينفث الهواء معها ومنهم من يطارد تلك الفقاعات حتى يسقط على ركبتيه، وبعد أن ينفذ سائل الصابون تأتي أبنتي لتسألني لتسألني غيرها أو تسألني أن أملأها بنفس السائل مرة أخرى، وفي هذه اللحظة تسمع مني كلمة "كفاية".

"كفانا لعب".. هكذا أقول لإبنتي، فأنا رب البيت وأمارس دوري التربوي وحقي الأبوي بوضع حد للهو واللعب والإنشغال بما لا يجدي نفعاً، ففقاعات الصابون قد تأتي بالبهجة والمرح ولكن من يطاردها غير راشد، وربما يسقط أو يصاب أو يتسبب في أذى لنفسه أو لغيريه وتنقلب البهجة إلى ضيق ويتحول المرح إلى غَم، وكما قال أسلافنا:

"*أي شيء يزيد عن حده .. ينقلب ضده*" ،

وما ينفعنا هو الأَولَى بجهدنا وكدِّنا وهو أيضاً الذي نستطيع أن نبني عليه مستقبلاً، فكل نشاط له وقته وقدره الذي لا يجب أن يزيد عنه.

عندما أتجاهل الطلبات المتكررة لإبنتي و (الزن) المتواصل، أتحول بنظري إلى أي صحيفة أو إلى قراءة الأخبار الإلكترونية على المحمول أو على جهاز الكمبيوتر، حينئذ أكتشف إلحاح من نوع آخر أشبه بالمشهد العبقري للنجم الراحل ((فؤاد المهندس)) في مسرحية (علشان خاطر عيونك) والمعروف بعنوان (جورنال إبُّو)، فأجدني أقرأ:

"((إم إم)) النائب البرلماني.. ((إم إم)) رئيس نادي الـ .. مكتب المستشار القانوني ((إم إم)) المعروف.. ((إم إم)) مُفشِي الأسرار ومصنع السيديهات (اسطوانات مدمجة).. ((إم إم)) المتهم في.. ((إم إم)) الثائر في الميدان.. ((إم إم)) المرشح الرئاسي.. ((إم إم))النائب البرلماني يعترض على بطلان عضوية نجله النائب ((إم إم لا ينتهي)).. تعيين ((اكس إم إم)) مشرفاً عاماً على الكرة بنادي الـ... ((إم إم)) والألتراس..... ((إم إم)) يهدد بفضح الراقصة.. الفنان المعروف يعتذر إلى ((إم إم)).. ((إم إم)) يصرخ هجيبك بلبـ...." !

لماذا لا تصدر جريدة بإسم ((أخبار إم إم)) أو يتم تدشين بوابة إلكترونية باسم ((إم إم نيوز))؟! أو ربما قناة فضائية؟ أليس هذا المقترح جدير بالدراسة؟ إنها فرصة جيدة لأي مستثمر مصري أو خليجي لجني مزيد من الأموال، حيث أن المرور على البوابة الإلكترونية سيكون مرتفع جداً لكثرة الأحداث والمشاكل وتوابعها، كما أن الجريدة ستستقطب كم من الإعلانات غير عادي لما سينشر فيها من تحقيقات وحقائق سرية، أما بالنسبة لشعار الجريدة أو القناة (لوجو) فمن الممكن أن يكون صورة جانبية (بروفايل) لـ ((إم إم)) و هو ينفث الهواء غضباً في حلقة مفرغة، فتخرج من الجانب الآخر فقاعات على شكل كرة قدم وأسطوانة مدمجة وقبضة يد، أو بعض كرات اللهب تحرق كل من يقف أمامه.

تحب زوجتي دائما أن تلهِب مشاعري بالمفاجآت، واليوم وبعد بكاء وإلحاح إبنتنا (الهستيري)، قرَرَت أن تفاجئني وتفاجئ إبنتنا بشيء جديد تحبه ويرسم على وجهها الإبتسامة، فوجدتها تمد يدها إلى حقيبة يدها لتخرج منها لعبة إشترتها مؤخراً، وإذا بها تبرز زجاجة فقاعات صابون جديدة ولكن بحجم أكبر بكثير من التي أفرغتها إبنتي، ثم قالت بكل فخر و هي تفتحها و تنزع (الخازوق) البلاستيكي الذي بداخلها:

"*دي فيها حلقات أكتر و أكبر من التانية و أشكال مختلفة*"!

Tarek Eid
Aug 2023

بتكلم

بتكلم .. ما هو لازم أتكلم
بتكلم و باكُل عيش ..
بتكلم و بتنفس و بعيش

مش هسكت .. ولا هربط لساني ..
ولا هلزق شفايفي ..
ولا هنام وشي للحيط.. أصبح لفيلمك أفيش

هتكلم.. غصب عني .. و غصب عنك..
ومش هكتم صوتي المبحوح ..
و لا هسمع كلامك .. و لا التهويش

لا تقولي أسياد ولا حر افيش ..
خلِّي كلامك للمجاذيب والدرو ايش..
وفر كلامك.. كل نصايحك ماتهمنيش .

البيضة و الحجر

مازال عالقاً في ذهني عندما حضرت عزاء أحد الأقارب منذ سنوات وكنت أجلس والأسى يرتسم ملامح وجهي حتى أراد والدي أن يكسر جدار صمتي ويدعم أواصر وروابط العائلة الكبيرة، فقرر أن يعرفني ببعض الأشخاص الذين ينتمون إلى أطراف العائلة كمصاصات أذرع الأخطبوط، فكان التعارف على نسق (ده فلان ابن عم أخو خالة جد أبو فلان اللي هو أخو عمتك في الرضاعة)، وصراحة كان لدي فضول لأتعرف على الشبكة العنكبوتية للعائلة لربما أصل إلى خيط يشدني إلى شعور باللإمتنان أو الفخر، فتحدثت مع احدهم وكان يبدو عليه بعض من ضيق الحال ولاحظت اهتمامه البالغ بتجربتي في الكتابة ونشر كتاباتي، وبادرني بمجموعة من الأسئلة جعلتني أشعر وكأنني أمام باحث يقوم بإعداد رسال علمية، فسعدت لإهتمامه بالأداب رغم ما يبدو عليه من آثار سحق لرحايا الحياة، حتى طلب مني أن اساعده في العثور على كتاب يبحث عنه منذ فترة ولا يجده في المكتبات، وأنه في حاجة ماسة للمعلومات الموجودة بهذا الكتاب الذي ينتمي لفئة الكتب العلمية الوثائقية وأنه سيكون ممتن لي جداً إذا وجدته وأحضرته إليه، ولفت إنتباهي لملحوظة أنني سأستفيد من المحتوى الرائع لهذا الكتاب.

حفظت عنوان الكتاب وبعدما إنتهى العزاء كتبت اسمه في محركات البحث، وإذا بحدقة العين تتسع كحَلة المحشي.. فالكتاب القديم يحتوي على بعض من أسرار السحرة ومدوَّن فيه بالتفصيل كيفية عمل وتحضير بعض أنواع السحر القديم، وتداوله يشبه بعض العقاقير في جدول الأدوية المحظورة!!

" *يخرب بيتك.. على بيت معرفتك* " .. هذا ما قلته بصوت خفيض ولم يسمعه أحد غيري، فهذا القريب (ابن عم أخو خالة جد أبو فلان أخو عمتي في الرضاعة) يود أن يقوم بدرسات عليا ليصبح ((سباخ التيبي الدجال)) الذي قام بتجسيد شخصيته الفنان ((محمود السباع)) في فيلم (البيضة والحجر) للعبقري ((محمود أبوزيد))!

كان من الطبيعي أن ضغطت على زر (مسح).. ليس لإسم الكتاب فقط، وإنما لهذا الشخص من حياتي، فقد صار مجرد عابر غابر غير مرغوب فيه مَر عليَّ مثلما يمر الذباب، فهذا العابر هو بذرة لنبتة شيطانية قد تنمو في تربة الجهل والتردي الأخلاقي، وللأسف فكلما تقدم بي العمر رأيت بعض من تلك النباتات الخطيرة...

الأشد خطورة من تلك النباتات هم الذباب والزواحف التي تبحث عنها وتتغذى عليها، حتى أنني ذات مرة سمعت أستاذ جامعي ومسئول اداري كبير يتحدثان عن تأثير وكرامات أمثال ((سباخ الدجال))!

وخطورة هؤلاء تكمن في تصوير كل إخفاق وفشل كنتيجة حتمية لأعمال (الدجالين)، وذلك لصرف النظر عن تقاعسهم أو سوء أخلاقهم أو ضعفهم الشديد، ليصبح السحر والشعوذة هما (الشماعة) التي يعلَّق عليها ترديهم وأعمالهم القبيحة، فإذا تعثر أحدهم وهو يمشي مُكباً على وجهه قال *" أكيد عاملينلي عمل ودفنوه في نعل الجزمة "* !

والمقولة التي أسمعها دائماً على لسان هؤلاء والتي يبررون بها الوهن الذي يكتسي قلوبهم هي: *" السحر والحسد مذكورين في القرآن"*، ولا يذكرون ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

" من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا "، وفي رواية أخرى: *" من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " ..*

وهذا الوهن هو ما لخصه أحد مشاهد النهاية لفيلم (البيضة والحجر) الذي إعترف فيه ((مستطاع الطعزي)) أنه دجال (الشخصية المحورية والتي جسدها الفنان الراحل قبري التمثيل احمد زكي) وللأسف لم يصدقه وكيل النيابة...

- **وكيل النيابة**: *يعني انتَ مصمم إنك دجال ؟!*
- **مستطاع الطعزي** (احمد زكي): *كل شيء أصبح مزيف المبادئ.. الأفكار.. الناس.. حتى نظريات العلم بيفتتها الشك.. وبتهدمها البحوث الجديدة كل يوم*
- وكيل النيابة: *بصراحة انتَ اجهدت ذِهني*
- **مستطاع**: *الناس في حاجة ليقين.. لحقيقة واحدة تكون ثابتة.. ده اللي بيخليهم يؤمنوا بحجاب وتعويذة ودرويش أهبل يضحك عليهم*
- **وكيل النيابة**: *أفهم من كده إنك بتجَهِل المجتمع وتتهمه بالجهل ؟!*
- **مستطاع**: *لأ.. بالضعف.. الضعف مبيفَرَقش بين جاهل ومتعلم.. هم اللي بيخلقوا الدجال ويصنعوه بإرادتهم.. زي ماصنعوا من الحجر تمثال وعبدوه.*

Tarek Eid
2023

ديمقراطية الجهل

أسرة تتكون من أب صاحب متجر، وأم ربة بيت مجهدة، وعشرة من الأبناء أكبرهم مهندس يحمل شهادة الدكتوراه، وأخت أصغر منه حاصلة على الماجستير في ادارة الأعمال وتعتلي مركزمرموق بأحد الشركات، والإبن الثالث خريج جديد حاصل على بكالوريوس العلوم ويعمل في معمل تحاليل خاص، والإبنة الرابعة اقتربت من الحصول على ليسانس الحقوق...

أما الإبن الخامس فمازال يدرس في الثانوية العامة، والسادس في الصف الثاني الأعدادي، والسابع والثامنة توأم متآخي يتعلمان في المرحلة الأبتدائية، والأبنة التاسعة تتعلم الأبجدية في الحضانة، وآخر العنقود مازال يحبو في صالة المنزل.

تدهورت حالة الأب الصحية فجأة ومَرُض وشاخ وأصبح غير قادر على العمل، وتعوَّد منه الجميع العصبية الزائدة والصراخ الدائم، وأحياناً سَب من حوله بألفاظ نابية، فقررت الأسرة ان تجتمع وأن تجري استفتاء على إعادة توزيع الأدوار ومهام العمل في البيت، وأحتذت الأسرة بالنظام الديمقراطي المعمول به في الدول المتحضرة لتنفيذ هذا الاستفتاء حتى يكون من حق كل واحد أن يدلي بصوته بحرية ومساواه و حياد تام.

و رغبةً منهم في ان يكون الاستفتاء عادلاً ونزيها فقد تم استبعاد صوت الأب والطفل الصغير لعدم أهليتهما، بينما أمتنعت الأخت الرابعة عن التصويت لرفضها اي تعديل يمس بحقها الشرعي في الحصول على ليسانس الحقوق، فأي قرار غير ما هو كائن الآن لا يناسبها ولن تقبله.

وتم إجراء الاستفتاء في جو أسري هادئ بمشاركة أعضاء الأسرة التسعة الباقين، ولكن للأسف خرجت نتائجه كالفاجعة على الأم والثلاثة أبناء الكبار..

فقد اختار الخمسة الصغار أن يتم تخصيص غرفة معزولة للأب وأن يقوم الأخ الثالث برعايته، وتقوم الأخت الكبرى الحاصلة على الماجستير بترك عملها والقيام ببعض الأعمال المنزلية مثل الطهو و غسيل و كي الملابس، وأن تخرج الأم للعمل في المتجر لتحل محل الاب في الأنفاق، ويتولى الأخ الأكبر (الدكتور) أعمال صيانة ونظافة وترتيب المنزل، بينما يدير ويتابع شئون المنزل كلها الأخ الخامس الذي لم يحصل على الثانوية العامة.

صرخت الأم، وإنهار الأبن الأكبر، وشقت الأخت الكبرى ثوبها، وأصيب الابن الثالث بالإكتئاب، ولكن كل هذا لم يشفع لهم عند باقي افراد الأسرة، فقد تم الأستفتاء بنزاهة

وشفافية وحرية وعدالة، ويجب على الجميع احترام قواعد اللعبة الديمقراطية التي إلتجأ إليها الجميع ورَضوا بها ويجب احترام رأي الأغلبية.

بعد ساعات وفي شرفة البيت جلست الأم وأبنائها من اصحاب التعليم العالي في صمت رهيب وكأنما على رؤوسهم الطير، ينظرون إلى بعضهم البعض متسائلين في ذهول:

كيف نقبل بهذه النتيجة البلهاء ؟! كيف نخرج من هذا المأزق؟!

وما بين متسائل ومشدوه ومُمَصمِص للشفاه أخترق صياح أحد الجيران أذن الجميع:

" *يابن الـ*** يانُصه.. هو انا بعلمك عشان تكبر عليا ..*"

نظر الجميع نحو البناية المقابلة، ليجدوا الحاج (فتحي) صاحب محل البقالة يمسك بأذن غلام صغير ويعنفه قائلاً:

"*لما تتعلم الأول أصول المهنة يا روح امك.. تبقه تيجي تقف بدالي في الدكان*"

عندئذ (هرش) الأخ الأكبر في رأسه قائلاً:

" *الاستفتاء ده كان غلط من الاساس.. مكنش مفروض اننا نساوي بيننا وبين شوية عيال مش متعلمين ولا فاهمين حاجة*"

أجابته الأخت ذات المركز المرموق: "*اكيد طبعا..ايش جاب لجاب* !"

أعقبها الابن الثالث قائلاً:

" *خلاص.. نعتبرها تجربة ونتحمل نتائجها.. و نوزن المعادلة بعد كده*"

رفعت الأبنة الرابعة يدها مشيرة اليهم بالرفض، ثم قالت:

" *قبل اي تجربة أو استفتاء لازم يكون فيه قواعد و دستور سليم عشان النتائج تبقه صحيحة*"

إنسدلت العبرات من عينيّ الأم المسكينة، ثم أجهشت بالبكاء قائلة:

"*بقه بعد السنين دي كلها.. و بعد العمر ده كله.. وبعدما شقيت وسهرت وتعبت ورَبتكم وعلمتكم.... بقه مش عارفين تصونوا وتعززوا أمكم اللي كبرت وعجزت وماعدتش قادرة على همكم ؟!.. حسبي الله ونعم الوكيل فيكم وفي خيبيتكم التقيلة*".

دومك إتيا
طارق عيد ٢٠١٢

ما لم تقرضه الفئران

يقول الروائي ((بهاء طاهر)) في مجموعته القصصية (ذهبت إلى شلال) :

"ربما يبعث الضياع صورة الجمال القديم الذي كانت العين غافلة عنه والأصل قائم"

منذ أيام فتشت بداخل المرآب (الجراج) عن بعض القطع المفقودة منذ إنتقالي إلى البيت الجديد، وكالعادة إكتشفت أن القطع المنشودة تم إنتشالها من خلال العُمال (ولاد الحلال) ولم يتركوا لي سوى ما لا قيمة له من وجهة نظرهم، وفي أغوار ما تبقى من كرمهم عثرت على مجموعة رسومات وأعمال يدوية للأطفال كنت قد إحتفظت بها لنفسي منذ أن تركت أول مهنة إشتغلت بها.

كان أول ما إشتغلت به في حياتي هو مهنة المُعلم و تحديداً (مُدَرس تربية فنية) أو ما يتعارف عليه في مدارس تقديم الخدمات الجيدة والممتازة بالـ "Art Teacher"، وإذا أردت توصيفاً حقيقياً فقد كنت أعمل "مُدَرِس رسم وصيانة وترميمات ومنظم معارض فنية وأنشطة فنية وثقافية وأحياناً مدرس لأي شيء لحين العثور على من يقوم بتدريسه".

لم أبغ حينها أن أعمل وكنت أود لو أنام يومياً إلى ما بعد العصر مثل بعض نجوم التمثيل الذين كانوا يتفاخرون بتناول فنجان القهوة الصباحي قبيل غروب الشمس، وكان تأخر إنهاء إجراءات الحصول على شهادة الخدمة العسكرية وصعوبة العمل بدونها حجة مثالية للمكوث أمام اللعبة الاستراتيجية المستفزة (رِد آلارت–القيادة والإخضاع)، ولكن والدي أفسد كل مخططاتي وأخضعني للذهاب إلى عملٍ لم يكن في الحسبان، بل وأتى لي بالوظيفة ليغلق كل نوافذ الأمل في الراحة والمرح بعد إنقضاء مشروع التخرج وأكثر من خمسة أعوام دراسية أمضيتها بالكلية.

كنت أستيقظ يومياً في السادسة صباحاً لأترنح نصف ساعة بين جدران البيت حتى أدرك مقبض باب الخروج، ثم أسير في برد الصباح نصف ساعة أخرى حتى أصل إلى بوابة المدرسة، وفي الطريق كنت أتوقف قليلاً لأشتري (سندوتشات) من عربة الفول والذين هم بمثابة (صوابع ديناميت) يتم تفجيرهم يوميا داخل أحشائي لتنطلق بهم توربينات بقية الأعضاء.

لم تكن المدرسة لأصحاب المال الوفير، ولم تكن أيضاً من مدارس الفقراء، وكانت تتبع منظومة يطلق عليها (القوميات)، ومِن الإسم يستطيع المرء أن يستنتج أن نشأتها لها صلة بالقومية العربية وعصر الزعيم الراحل ((جمال عبدالناصر))، ويبدو أن شيئاً لم

يتطور فيها منذ هذا العصر، وخصوصا المرتبات والتي أعتقد أن من حدد قيمتها هو ((الباشا سليمان نجيب)) للأستاذ ((حمام - نجيب الريحاني)) في فيلم (غزل البنات).

أمضيت في تلك المدرسة حوالي ثمانية أشهر، الأربعة الأولى كانوا تحت شعار **"أنا مهندس ديكور و منتظر شهادة لم يصبه الدور"**، أما الأربعة شهور الأخيرة وبعد صدور شهادة إرجاء الخدمة العسكرية، فكانوا لغزاً حيرني حيث أنني لم أتقدم بإستقالتي فور إستلام الشهادة رغم عدم قناعتي بما أفعله أو العائد المادي منه، بل و استمريت في عملي أستيقظ مبكراً وأتحمل كل الضغوط حتى نهاية آخر يوم في العام الدراسي.

توطدت علاقتي بالتلاميذ وأحببت براءة الأطفال في السنوات الأولى من المرحلة الإبتدائية، وعشقت إبداع الطفل وبناء شخصيته وتشَكُّل أفكاره في السنوات التي تسبق المرحلة الإعدادية، وصرت مولعاً بأفكارهم وطموحهم غير المحدود قبل المرحلة الثانوية، فنحيت المناهج الدراسية جانباً وبدأت في تدريس الفنون بالطريقة التي أراها مناسبة لهم ولي أيضاً، حتى إبتكرت فصول تقوية مجانية لمادة الرسم بعد اليوم الدراسي لأعلمهم فيها إستخدام أدوات وألوان جديدة، وإستخدمت معمل الكمبيوتر للمدرسة في شرح كيفية إدراك وإحساس الألوان، ليس هذا فقط وإنما تطور الأمر للذهاب يوم الأجازة لتدريب التلاميذ من هواة التمثيل على كيفية أداء عرض مسرحي سيعرض في حفل نهاية العام ودون إبتغاء أي عائد مادي.

كان ما أفعله لا يروق لبعض المعلمين والموجهين أيضاً، ولكن شعوري الداخلي بعدم إستمراري في هذا المكان جعلني أنخرط في أعمال تلائم قناعاتي، حتى أنني شاركت الأطفال وبعض المعلمين في مباراة لكرة القدم كان رأس حربة الفريق فيها من ذوي الهمم (الإحتياجات الخاصة) وكان يسدد الكرة بقدم واحدة، وكانت سعادته غامرة، ذكرتني بها فرحة الشاب ((محمود عبده)) على العكازين بعد هدف وصول منتخب مصر إلى كأس العالم بروسيا، لعلها كانت من أسعد لحظاته، مثلما كانت من أسعد لحظاتي أن أحصل على شهادة تقدير من الإدارة التعليمية قبل نهاية العام الدراسي ويتم ترشيحي للإستمرار كمدرس أول في العام الذي يليه.

إنتهى العام الدراسي وتركت مهنة المعلم ولا أصدق الآن أنه قد مر عشرون عاماً، فأصحاب هذه الرسومات التي بين يدي قد صاروا الآن بعمر الثلاثين وصار الأطفال نساءً ورجالاً **"العيال كبرت"!**

وبالتأكيد إن مر أحدهم بجواري الآن فلن أعرفه ولن يعرفني، فتقاسيم الوجوه تغيرت والذي بقى في الأذهان مجرد صور قديمة، والذي بقى منهم بين يدي الآن مجرد رسوم و دمية لم يرى فيهم السارق أي قيمة فتركهم بين (الكراكيب) لأكتشف مالم تقرضه

الفئران.. فما لم تقرضه الفئران جعلني أنسى ما كنت ذاهب للبحث عنه، فجلست على الأرض في غبار المرآب غير مكترث لسرقة القطع أو ضياعها، وتمعنت في الأوراق والرسوم لعلي أتذكر صانعيها وأتخيل ما أصبحوا عليه اليوم.

تحية حب و تقدير إلى استاذي الهادئ الجميل مُعلم التربية الفنية بالصف الخامس الإبتدائي بمدرسة ليسيه الحرية بباب اللوق، الفنان التشكيلي/ **محمد الطحان** ، والذي خاض تجربة تدريس التربية الفنية في الثمانينيات وحتى السنوات الأولى من تسعينيات القرن الماضي، وقد وافته المنية في الرابع من شهر ديسمبر عام ٢٠٢١ م بعد تاريخ زاخر بالإبداع والجوائز الفنية، غفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جناته.

تخيلي إني بفرح

بضحك على نفسي و أقول مش مشتاقلك ..
و ماشي أدَوَر على روح تشبهِلِك !
و لما عجبتني ضحكة فيها حِته منك..
ضحكت عليها و قلت يخرب بيت عقلِك

تخيلي .. تخيلي إني بفرح .. لما بعرف إني جيت على بالك
تخيلي إني بسرح .. لما بسمع إن سيرتي بتحلالك
معقول وقتك بيسمح.. تفتكريني وسط أشغالك ؟!
و ياترى لسانك لما بيجَرَّح... بيكون صادق...
و لامجرد كلام بتداري به أحوالِك ؟!

ياما قلتلِك ومافهمتنيش..
سمعتي الدنيا وماسمعتنيش
العند جِري في دمك..
والغلط في حقك مابيتمحيش!
سَماكِ يمكن صافية..
بس حضنك لسه بيرجِف مايدفيش
لو حقيقي بريئة .. لو بجد جريئة ..
إعترفي بضعفِك .. وما تنكسفيش.

نوستالجيا فنون جميلة

يبدو أن الذكريات لا تود أن تفارقني، فبعدما عثرت على (ما لم تقرضه الفئران) في مرآب البيت ، تصادف العثور على ملف آخر في شرفة البيت وهو يعود للعام ١٩٩٩ وهو أيضاً يستحق الكتابة عنه وإن كان هناك فارق كبير بين الإثنين، فهذا الملف أبطاله ليسوا أطفالاً قد صاروا شباباً، بل شباب قد صاروا رجالاً ونساءً، وربما بينهم من فارق الحياة.

١٩٩٨ كان العام الثاني لي بقسم الديكور بكلية الفنون الجميلة وهي الفرقة الأولى بعد سنة الإعدادي، وفي هذا العام أتتني فكرة إصدار أول مجلة ثقافة فنية مطبوعة تتحدث عن مجتمع الفنون الجميلة ويكتب فيها الطلاب أنفسهم وتتحدث المجلة بلسان حالهم وتُعرَض أعمالهم الفنية، وفي هذا الوقت لم يكن هناك مشروع لمجلة مكتملة الأركان، وكان كل ما تم إصداره عبارة عن مطبوعات ورقية بسيطة لأنشطة داخل الكلية مثل (أتيليه المسرح) أو (عشيرة الجوالة) أو أي أسرة كونها مجموعة من الطلاب.

كنت مولعاً بالكتابة وكان إستخدام الحاسوب (الكمبيوتر) والبرمجيات في ذلك الوقت أمر غير شائع كما هو الحال الآن، ولعل هذا ما أعطاني ميزة نسبية دفعتني خطوات في سبيل تحرير وإخراج المجلة، فقد كنت على دراية ببعض برامج (الكومبيوتر) وكان لدي إتصال بإحدى شركات الدعاية والإعلان وكنت أستطيع أن أتصل بشبكة الإنترنت وكان لدي إمكانية الطباعة الملونة أيضاً.

عندما تصفحت النسخة الأولية للمجلة (المسودة) وجدت بعض الصفحات ملتصقة بفعل الزمن أو ربما نتيجة لضغط وزن الكتب المتراصة كالأعمدة لسنوات طويلة داخل الصندوق الكرتوني الكبير، ولكن هذا لم يمنع من التعرف على المحتوى الذي أدهشني أن وجدت فيه الكلمات الكاملة لأوبريت (**الحلم العربي**) وهو الأوبريت الذي ظهر في هذا الوقت على نسق كبريات أغاني القومية العربية التي جمعت كبار المطربين مثل (الوطن الأكبر) و (الجيل الصاعد)، وكان صدى أوبريت (الحلم العربي) مدوياً وكانت كلماته معبرة ومؤثرة بلهجات عربية مختلفة حتى أنه مازال يعرض على شاشات القنوات الفضائية إلى الآن، ليس فقط لأنه عمل فني بارع، ولكن لأن الحلم أبَى أن يصبح واقعاً ومازال الحالمون في سُبات عميق!

يبدو لي الإخراج الفني للمجلة بدائياً مقارنة بما وصل إليه محترفو الجرافيكس الآن، ولكن أذكر حينها أنه كان طفرة في عالم المطبوعات الجامعية في ظل المنشورات الجامعية الجافة وهيمنة (شاسيه) مجلة الحائط على براعة الإخراج الفني للكلمة، كما يبدو أن المطربة الحسناء ((نوال الزغبي)) كانت في أوج تألقها حينئذ حتى أنني

إستعنت بصورة صغيرة لها من إحدى أغانيها (كليباتها) لتكون عامل جذب على غلاف المجلة، ولا أدري إن كانت ((هيفاء وهبي)) كانت قد سطع نجمها في ذلك الوقت أم كانت مازالت فتاه مغمورة مثل ((نانسي عجرم)).

إنغمستُ في صفحات المجلة وبدأت ملامح الأشخاص وتفاصيل الأماكن تنساب تدريجياً نحو ذاكرة غشيَها غبار أكثر من عقدين من الزمن، و بدأت معالم الصور القديمة تتضح تدريجياً، فقد كان عميد الكلية في هذه الفترة هو ((أ.د. محمد حازم فتح الله)) وأذكر أنه كان يدخن الغليون (البايب) وأظن أنها كانت السنه الأولى له في عمادة الكلية، وأذكر أيضاً أنني قد ذهبت بالفكرة ومسودة المجلة إلى ((أ.د. محمود همام)) بقسم الديكور وكان عائداً للتو (طازة) من رحلة عمل خارج مصر وكان يملك تجربة عمل مسرحية بالولايات المتحدة وبعض الدول العربية، وكان مثلما نقول عن السلعة الجديدة التي لم تمس "بورقته" أو "سوليفانته"، فهيأته المهذبة والمهندمة وأفكاره البسيطة غير المعتادة جعلته وكأنه كائن فضائي أتى إلى الكلية من عالم آخر، وكان حقاً يدعمني ويدعم الفكرة بقوة وساعدني على تصحيح بعض الأخطاء، ولكن دائما ما يظهر في الأفق ما يعكر صفو الأمور، وأقصد من هم لديهم حرفة تعطيل الأمور..

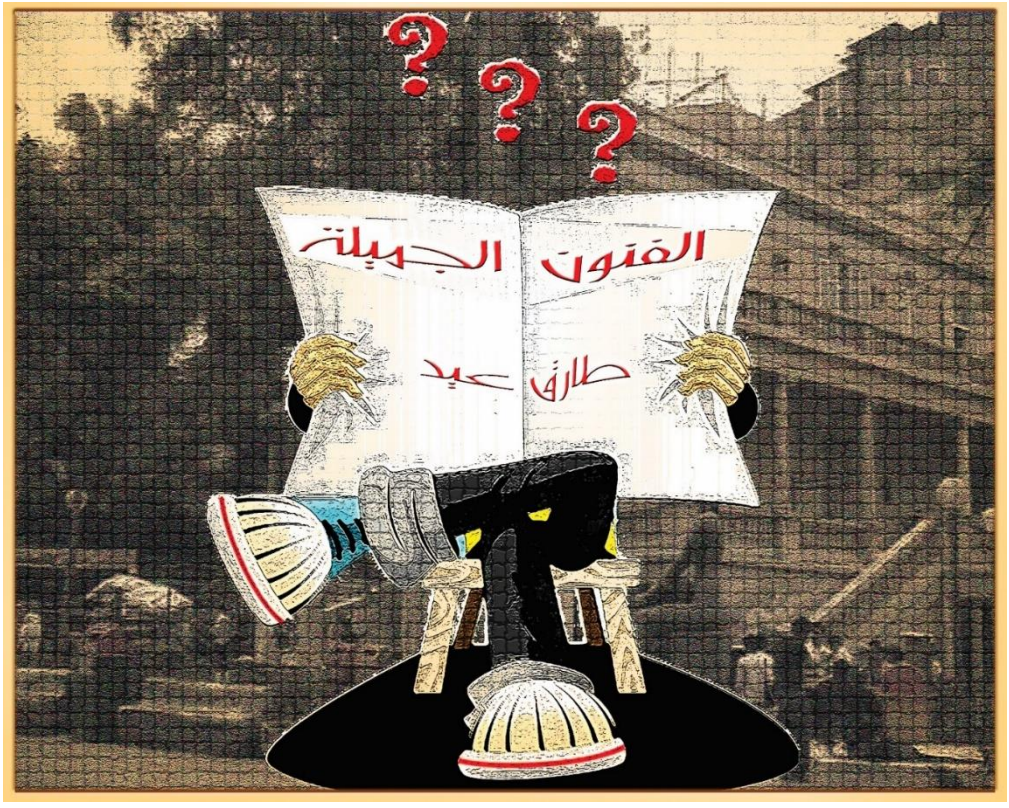

(**شئون الطلاب**) أو ما يعرف بـ (تكدير الطلبة) هو حيز مكاني كرهت الذهاب إليه وللأسف كنت مضطراً لذلك لأن السيدة الموظفة والتي لا أذكر إسمها (ولا أود أن أذكره) كانت هي المسئولة عن الإجراءات الإدارية والمالية الخاصة بتمويل الكلية لأي نشاط ثقافي، وللأسف أيضاً فهي نموذج أصيل للبيروقراطية وقِلة الوعي، كما أن وقوف أي شخص أمام مكتبها البالي يدفع إلى الإختناق البطيء وكأنها تنفث غاز أول أكسيد الكربون، وبقدرة هذه السيدة الإسطوانية على خنق الأفكار فقد إستطاعت بحيلة بسيطة أن تقنع عميد الكلية بعدم جدوى تلك المجلة وأنها ستكون مكلفة ولا عائد مادي منها وأن الطالب القائم على تجميع محتواها يسعى لإبراز نفسه مع مجموعة من الطلاب متجاهلاً أساتذة الكلية، و... و... ولكني لم أسكت ...

أحداث كثيرة تدفقت إلى الذاكرة، ولكن ما دار منها حول المجلة ليس بجمال ما ورد فيها من إبداع لطلاب صاروا اليوم رجالاً ونساءً أصحاب أعمال وأرباب أُسر ومنهم من شق طريقه الثقافي والفني في الكتابة والتمثيل، فعلى سبيل المثال وجدت قصيدة شعرية بعنوان (المدللة) وهي للطالبة ((دنيا ماهر)) (إعدادي ديكور) والتي أصبحت فيما بعد كاتبة وممثلة معروفة، فصدر لها كتاب بعنوان (شقة باب اللوق) وكتاب آخر بعنوان (تلفريك) وقامت بالتمثيل في أفلام ومسلسلات عدة أبرزها (سجن النسا)، و(واحة الغروب)، و(عوالم خفية)، و(بـ١٠٠ وش)، ومما كتبت في ((المدللة)):

" تبكي .. تضرب الأرض بقدميها .. من فرط التدليل .. تخرج لسانها .. تركل بعنف .. هؤلاء الأطفال الحمقى .. ذوي الماضي الجليل .. الحاضر أصبح مخزياً .. بالعار الذليل .. و طفلتنا المدللة .. تتباهى بقطع حلواها .. بملابسها .. بالشمس .. و بالنخيل .... طفلتنا تمسك بخارطة ....."

و من الأشعار التي برزت في مقدمة صفحات مجلة (الفنون الجميلة) كانت قصيدة شعرية فازت بالجائزة الثانية في المسابقة الثقافية المركزية للشعر العربي لجامعات القاهرة الكبرى عام ١٩٩٦ بعنوان (شفاه تحترق) وهي للطالب ((وائل كوهية)) (الفرقة الرابعة قسم الديكور) والذي صار فيما بعد شاعراً ومهندس ديكور مميز صدر له ديوان شعري بعنوان (خلص الشتا)، وفي القصيدة يقول:

" نفثت بثغر ساحر دخاناً .. شردت و هام فؤادها حيران .. أحسست أن مشاعراً مكتومة .. في صدرها قد أوشكت فوران .. و كأن ما بين الأصابع ينطوي .. في جوفها قد ألهب النيران .. أو أنها كرهت حياتها بالهوى .. أو أن كان جليسها شيطان"

ذكرتني تلك القصيدة بمشاعر الحب والرومانسية المفرطة التي عشت فيها آنذاك، وكيف كنت أسقط بسهولة كالفريسة في براثن الفتيات، فكنت أهيم عشقاً بتغير فصول السنة، وقد ساعد النجاح المدوي لفيلم (**تيتانيك**) على تأجيج تلك المشاعر الرومانسية ورغبة كثير من الفتيات في العثور على ((جاك)) الذي تجمد بين ثلوج المحيط من أجل أن تبقى حبيبته ((روز)) على قيد الحياة، وكان الإستنساخ المصري لمشهد الإحتضان من الخلف مع فرد الذراعين عند طرف السفينة فاتحة خير وباب رزق لمراكبية مصر ومصوري الفوتوغرافيا.

وبذكر الأعمال الفنية فقد إحتوت المجلة على بعض أخبار ومواعيد معارض الفن التشكيلي، وطرحت إستفتاء مطوّل حول الأغاني والمطربين الذين استحوذوا على إعجاب طلاب الفنون الجميلة، وكانت نتيجته هي تربع (الكينج) ((محمد منير)) على القمة وإعجاب الفتيات بوسامة المغني الصاعد بقوة ((وائل كفوري))، وإعجاب الشباب بأغاني ((ماجدة الرومي))، و((سميرة سعيد))، و((أصالة))، و((نوال الزغبي))، و((ديانا حداد))، كما إحتوت المجلة على تقديم لعرض مسرحي كوميدي أخرجه (أتيليه مسرح الفنون الجميلة) بعنوان ((إتكلموا)) وتم عرضه على مسرح الكلية لمدة ستة أيام، مع الرغبة في إعادة عرضه مرة أخرى، ولم تخل المجلة من عمل فني (كوميكس) بعنوان (طرزان آخر زمان) وهو فكرة و رسوم لطالبة بقسم الجرافيك آنذاك ((نادية المدني)) .

من العجيب أنني وجدت في نهاية الملف صورة من إعلان مُوقَّع من عميد الكلية، يحث فيه الطلاب على تقديم أي أعمال أدبية أو مطبوعات فنية لإدراجها في العدد الأول من المجلة قبل تاريخ: **٣١ مارس ١٩٩٩**، وهذا ما جعلني أشحذ زناد فكري لأستدعي أسباب عدم خروج المجلة إلى النور رغم موافقة العميد، والحقيقة هي أنني قد سعيت بقوة لإنجاح المشروع ولكن الأسباب الحقيقية للفشل تاهت في ذاكرتي مثلما تاهت كثير من الأمور في دروب الحياة وتقلباتها، ولكن أمراً إيجابياً لفت إنتباهي في تلك المجلة وهو باب بعنوان (يعجبنى ولا يعجبني) وهو عبارة عن سطور يحررها الطلاب بأنفسهم و يقولون فيها ما يعجبهم أو لا يعجبهم في الكلية و بإسلوب حر قد ينزعج منه بعض أساتذة الكلية أو الموظفين الإداريين.

من أسفل تل الكتب المخزنة داخل الصندوق الكرتوني خرج ملف مجلة الفنون الجميلة (العدد الأول في العام ١٩٩٩) لينقل صور واقع وذكريات عاشها طلاب الفنون الجميلة بين ذراعي شارع ((محمد ثاقب)) وشارع ((إسماعيل محمد)) بحي ((الزمالك))، إلتحقوا بالكلية في الأعوام ما بين ١٩٩٥-١٩٩٨ وتخرجوا منها بعد ذلك بخمس سنوات أو أكثر، هؤلاء الطلاب صار منهم الآن فنانين ومعماريين ومهندسين ديكور ومصممين

جرافيكس وأساتذة أكاديميين وأصحاب شركات وأعمال، ومنهم من يطبع بصمته في عالم الأدب أو في عالم المسرح وعلى الشاشة الفضية، فعلى الغلاف صورة لمجموعة طلاب مجتمعين إبان الحفلة التنكرية للترحيب بالطلاب الجدد والتي كانت تقام سنويا، وأرى فيها الطالب ((إيهاب الطوخي)) الذي سلك فيما بعد الكادر الأكاديمي للأساتذة الجامعيين وحصل على الماجستير والدكتوراه وهو يحاضر الآن بقسم (النحت)، وبذكر ((إيهاب)) حق القول أنه كان من الأشخاص متعددي المواهب، حتى أن أحداً من الطلاب ذات مرة قال لي عنه بالحرف الواحد "ده ناقص يطير ويبقه سوبر مان" !

فشل إصدار العدد الأول من مجلة الفنون الجميلة، و لكن بعد بضعة شهور و تحديدا في **صيف العام ١٩٩٩** إستقبلت مكالمة هاتفية من صديقي وأخي ((محمد عصام)) وهو شخص غير مهتم بالأدب، بل هو لا يهتم كثيرا بالقراءة على الرغم من أن والده الراحل ((عصام أبوحرام)) كان مدير تحرير لمجلة (روز اليوسف)، وفي المكالمة الهاتفية قال لي أن هناك مجلة مصرية شبابية باللغة الإنجليزية تدعى (Teen Stuff) قد قررت تدشين مجلة شبابية أخرى باللغة العربية، وطرَح عليَّ فكرة الذهاب بملف مجلة الفنون الجميلة إلى هناك على أمل أن يتحقق مسعاي في إصدار مجلة شبابية حقيقية يكتب فيها الشباب بنفسه ويعبر عن أحواله، وبالفعل تم التواصل مع إدارة المجلة وتم تحديد موعد مع الأستاذة ((عزة مازن)) رئيسة تحرير المجلة تحت الإنشاء.

قابلتني الأستاذة أو الدكتورة ((عزة مازن)) والتي أصبحت فيما بعد نائب رئيس تحرير مجلة (الإذاعة والتلفزيون)، وإنبهرَت بالمجهود المبذول في مجلة الفنون الجميلة وأشادت به و قررت إنضمامي لأسرة تحرير المجلة الجديدة والتي خرجت للنور تزامنا مع الألفية الجديدة في يناير ٢٠٠٠، وقد أتفقنا جميعا على إطلاق إسم **(كلمتنا)** على المجلة الوليدة وذلك كنوع من التنويه عن أن محتوى المجلة مكتوب بيد الشباب أنفسهم فهي كَلِمَتُنا التي نريد أن نقولها وهي كلمتنا التي نريد أن يسمعها من لا يريد ان يسمع صوت الشباب أو لا يساعدهم، وكانت (كلمتنا) فصلاً آخر من فصول حياتي نَشرتُ فيه ما يزيد عن ثلاثين موضوع ما بين المقال، والشعر، والتحقيق، والسلسلة القصصية الساخرة ((**رسالة من عيوش ٢٠٠٠**))، ونجحت المجلة نجاحاً كبيراً وإستمرت لأكثر من خمس عشرة سنة متواصلة بدعم قوي من السيدة المحترمة ((منال المهدي)) رئيس مجلس إدارة المجلة.

ربما لم أمض سوى ثلاثة أعوام فقط مع (كلمتنا) ولكن يكفيني شرفاً أن عاصرت وساهمت ولو بالقليل في ميلاد مشروع ناجح نثر بذور الكتابة بين المراهقين وغرس فسيلة الأدب والفكر في عقول جيل من الشباب، ويكفيني شرف المحاولة داخل أسوار كلية الفنون الجميلة..

والحقيقة فإن ملف مجلة الفنون الجميلة الذي بين يديّ الآن قد لقنّي ثلاثة دروس مهمة أفادتني و ستفيدني كثيرا في حياتي...

أولهم كان حين فشلَت محاولات خروج المجلة للنور فتعلمت أنه ما من أمر سعيت إليه بكد ولم أدرك فيه النجاح **فلا أحزن ولا أيأس**، لأن الله قد أعدني وأعد لي خيراً منه...

أما الدرس الثاني فهو **عدم ترك الطموحات بين أيدي موظفين أفكارهم معلبة** أو عند أشخاص لا يعرفون إلاّ الأطماع...

وأخيراً فإن الدرس الثالث تعلمته اليوم عندما نظرت وقرأت أسماء الطلاب الذين كتبوا أو ساهموا أو دعموا مشروع المجلة آنذاك، فتلك الأسماء أثبتت لي أن المبدع الكبير يولد عادة في هذا السن الشاب، **فلا يجب أبدا أن نغفل أو نهمل الإبداع الصغير، فصغير اليوم هو كبير الغد.**

بعد أربعتاشر سنة خدمة

بعد أربعتاشر سنة خدمة في حل مشاكل مهنة الديكور..

الرَكب واقف والدايرة معطوبة والعطل في قلب الموتور

ناس بتسترزق عن جهل ، و ناس بالعلم بتلِف و تدور

واحنا الخُبراء أصل المهنة .. لا الصنايعي .. ولا الدكتور

الكل في الشغلانة يعُك و يقول على نفسه مهندس ديكور

لا ظابط ولا رابط يمنع، والجاهل ينطح براسه زي التور

هو فيه كده في العالم؟! فين النقابة؟! فين الدستور؟!

عابر السبيل احتل العمارة، وصاحبها يسكن آخر دور!

مصمم ومهندس، ولسه محتار يكتب إيه في الباسبور!

بعد اربعتاشر سنة خدمة.. لسه لقمتنا واقفة في الزور!

الديكور و فَخ الكذابين

هل حدث من قبل وأن اشتريت دواء من حلاق؟! قبل أن تجيب اقرأ أولاً هذه السطور فربما تكون قد فعلت ولكنك لا تعلم ..

منذ فترة ظهر (جروب) مصري على (الفيسبوك) خاص بالديكور، ويقوم هذا الجروب بترشيح المتخصصين في مجالات التشطيبات وتنفيذ بعض أعمال الفنون التشكيلية وأعمال الكهرباء والكهروميكانيك أو حتى بعض الأعمال الحرفية البسيطة، والجروب أيضا يقوم بتقديم الإستشارات الفنية والتصميمية وحلول للعمارة الداخلية، وأصبح حالياً أشهر (جروب) يهتم بالمهنة في مصر ويتابعه أكثر من نصف مليون مشترك...

ربما يبدو الأمر طبيعياً، لكن عندما بحثت عمن أسس هذا (الجروب) وكيف يتم إدارته و مدى تأثيره السلبي على سوق العمل وما هي الأسس العلمية التي يستند عليها لتقديم الاستشارات أو الترشيحات... علمت أن من أسسته هي سيدة ليس لها علاقة بالديكور، ولم تدرس يوماً العمارة الداخلية أو التصميم الداخلي والأثاث ولا حتى ديكور المسرح والسينما، كما أن من ترشحهم للأعضاء ومتابعي (الجروب) هم أفراد أو شركات صغيرة تدفع لها مبالغ مالية نظير ترشيحهم والإعلان عنهم في منشورات، أو من خلال لوحة شرف شهرية تعرض على هذا (الجروب) الذي يتابعه بشغف عشرات الآلاف!

حدثني احد الأصدقاء عن ضيق الحال وفشل مشروعه الأخير في تحقيق الأرباح المرجوة رغم ما أنفقه من أموال على (ديكورات) المكان، وبما أن (الديكور) أصبح عنصراً منغصاً في شكواه فأضطررت أن أسأله عمن قام بعمل التصميم لتلك الديكورات التي يتحدث عنها؟ فكانت إجابته أنه هو من صمم ونفذ مستعيناً بأحد أصدقائه صاحب صالون (كوافير) رجالي، ولديه خبرة طويلة بالتشطيبات وينسب لنفسه صفة (مهندس ديكور) على حسابه بالفيسبوك!

و بهدوء يشوبه بعض من المكر عدت لأسأله من جديد:

هل راعيت العوامل البشرية و بيئة العمل و الراحة الحرارية في تصميمك للمكان؟
نظر لي بإمتعاض.. ثم اجاب:

"بص أنا مش عارف انت تقصد ايه.. لكن احنا ركبنا تكييفات في كل الأماكن و اشترينا كراسي واسعة و مريحة من عند (.....) و ركبنا ستاير..... "

قاطعته محتدا: *و مادمت لا تعرف لماذا لا تسأل من يعرف؟!!*

ثم استطردت موضحاً:

الراحة الحرارية لا تعني كرسي مريح و جهاز تكييف هواء.. الراحة الحرارية هي الحالة التي لا يشعر معها الإنسان بالبرد أو بالحر، ولا يشعر بأى مضايقة نتيجة لخلل فى البيئة الحرارية، والراحة الحرارية لها عناصر بيئية مثل درجة الحرارة والرطوبة النسبية وحركة الهواء والإشعاع، ولها عناصر بشرية مثل نشاط العمل وطبيعته وطبيعة الملابس والأغطية، والراحة الحرارية لها طرق قياس، وإذا لم تتحقق الراحة الحرارية فإنها تؤثر على انتاجية الموظفين، و قد تزيد الحوادث داخل محيط العمل.

رمقني صديقي المحبط بنظرة بلهاء ثم قال:

و كيف سيعرف صديقي مهندس الديكور كل هذه الأمور؟!

أجابته: *لن يعرف .. لأنه ليس مهندس ديكور .. لقد استعنت بحلاق!*

قد يرى البعض في نفسه موهبة تنسيق الأشياء وحسن اختيار الألوان، وبمجرد نجاحه في ترتيب منزله أو منزل صديقه وثناء بعض المقربين ومجاملتهم له بأنه "ولا أجدع مهندس ديكور"، يقوم الليل ليخطط كيف سيغزو سوق العمل ويصبح مهندس ديكور فلان الفلاني أو فلانة الفلانية، وتبدأ الكارثة عندما يعرض خدماته للناس بمقابل مادي زهيد وهو لا يعلم أنه سيقود بلا دراسة وبلا رخصة، وبالتالي سيصطدم بأول مرور ساذج أمامه وتحدث الإصابات والخسائر الفادحة!

هندسة الديكور وتصميم العمارة الداخلية أو تصميم الأثاث هي علوم لها دراسة و قواعد تستغرق سنوات للتعلم والتدريب العملي حتى يشرع الدارس في ممارستها كمهنة، مثلها مثل الطب أو الحقوق أو هندسة الطيران والفضاء، ولا يمكن للخبرة أن تحل محل الدراسة، وإلا صار (حلاق الصحة) طبيباً وأنشأ عيادة للمرضى يداوي فيها من يشاء بخبرته!

ومهندس الديكور الدارس والمُطلع والخبير يمكنه من خلال التصميم المتميز والذكي أن يزيد انتاجية و ربحية مشاريع صغيرة و كبيرة، وكذلك يمكنه أن يساهم بشكل فعال في علاج العديد من مشاكل الازدحام والمشاكل النفسية، والعكس صحيح فإن شخص كاذب ومدعى هندسة الديكور والتصميم الداخلي قد يتسبب في مشكلات جمة تبدأ بحيزات مريضة وتنتهي بكوارث مثل انهيار عقارات كاملة نتيجة للجهل بالأجزاء الإنشائية التي يحظر الإقتراب منها أو التعديل فيها.

وما يحدث في مصر هو أننا عندما نعالج الأبدان نبحث عن الطبيب الاستشاري والعيادة المرخصة والمستشفى والصيدلية جيدة المستوى، ولكن للأسف لا نتبع نفس

المبدأ عندما نختار كيف نعالج المكان الذي سنسكن فيه أو سنعمل فيه أو حتى سنتنزه فيه، و بدلاً من البحث عن المتخصص المتعلم الدارس الخبير صاحب رخصة مزاولة المهنة، نلجأ لمثل هؤلاء المدعين والذين يبحثون عن الكسب المادي السريع (السبوبة)، والذين طوروا من ادواتهم ليتواكب مع التطور التقني السريع ليتحول الكذب من الشارع وصالونات الحلاقة إلى الكذب إلكترونيا على مواقع التواصل الإجتماعي، فدشنوا (جروبات) لها وسم جذاب (لوجو)، و أقنعوا الناس بخبراتهم وسابقة أعمالهم بالصور المبهرة لأعمال ليست من أعمالهم وربما تكون نفذت خارج مصر، ثم بدأوا في جذب بعض من المتخصصين محدودي الموهبة الذين ربما لا يجدون فرص عمل جيدة، فعملوا معهم في ادارة مثل تلك (الجروبات) نظير إسناد بعض الأعمال أو نسبة من بعض الأعمال!

و لأني في الأصل مهندس ديكور حقيقي من خريجي كليات الفنون الجميلة قسم الديكور (العمارة الداخلية والسينوجرافيا) فأستشيط غضباً ممن لا يريد اقتطاع جزء بسيط من وقته ليتحرى صدق المتحدث أو المُعلن وكأنه يستمتع بالوقوع في فخ مهندس الديكور الكاذب (مهندس السبوبة) الذي لا علاقة له بالديكور ثم يضيع ماله ويضرب كفاً بكف على ما أنفق فيها!

في النهاية لو كانت اجابتك على سؤال السطر الأول " *هل حدث من قبل و أن اشتريت دواء من حلاق؟!* "، فإن كانت الإجابة "*نعم فعلت*"، فحاول أن تتدارك الأمر لأن "*الدواء فيه سم قاتل*"، ولا تساعد الكذّابين في نصب شَرك جديد.

بعد السنين

المهندس ((حسني جبر)) جمعتني به إدارة المشروعات والصيانة منذ سبعة عشر عام ثم تفرقنا للعمل بإدارات ومواقع مختلفة، وبعد سنوات طويلة عدنا مرة أخرى لنجتمع بنفس ذات الإدارة، ورغم أنه من مواليد ستينييات القرن الماضي وقد عاصر انتصار أكتوبر المجيد وقتما لم يكن اسمي قد دوّن بعد بدفاتر وسِجلات المواليد، إلاّ أننا قد اشتركنا في وجهة نظر واحدة نحو بعض الأمور ومنها مثلاً أنه لا يجب أن يكون تعاملنا مع الأشخاص الذين يطلون علينا من الماضي بنفس الإسلوب ولا يجب تقييم الشخص بناء على احداث الماضي البعيد، وليس معنى هذا أن ننسى تلك الأحداث تماماً، لأنه يجب أن تكون دروس الماضي حاضرة في أذهاننا، ولكن يجب الوضع في الاعتبار أن الزمن ليس هو نفس الزمن والظروف لم تعد هي نفسها وربما قد تغيَّر الانسان تغييراً جزئياً أو كلياً.

وقد دار حوار بيننا ذكرت فيه كيف أعاتب نفسي دائماً عندما أقود السيارة وحدي فأقبض على مقوَد السيارة (الدركسيون) بقوة ثم ألكمه في بنكرياسه صارخاً:

" *هو انا ازاي اتصرفت كده!! هو انا ازاي كنت بفكر كده؟!*"

وأظل أصرخ ضارباً بطن المقود حتى ينزف البوق (الكلاكس) ألماً ويصدر أصواتاً مزعجة معلناً عن ضجر واستهجان شديد لفعل أو قَول حالفني فيه الغباء أو ربما الخجل المبالغ فيه.

حقاً لم نعد نفس الأشخاص التي إجتمعت منذ سنوات طويلة، وربما تكون نفس الأشخاص قد أمضت سوياً أوقات لا تُنسى، الجميع يتغير وقد تغيرنا وأختلفنا وبانت التجاعيد ببشرتنا وإنحفرت بفعل محاريث المحن والأزمات، وتلون الشَعر بلون الجليد الذي تساقط على رؤوسنا عند الفواجع والصدمات النفسية.

يقول عَم ((سيد حجاب)) رحمة الله عليه في أغنية تتر البداية لمسلسل (اللقاء الثاني):

"بتبدّل الأيام ملامحنا.. ترعشنا.. تنعشنا.. تشوّشنا... يا ترى اللي بيعيش الزمن إحنا.. ولا الزمن هو اللي بيعيشنا... ولما تتلاقى الوشوش مرتين.. ما بيتلاقوش يوم اللُقا التاني.. عمر الوشوش ما بتبقَى بعد السنين نفس الوشوش.. دي بتبقَى شيء تاني" .

لقد تعلمت الكثير مما مَررت به من مواقف وأحداث، وقد تألمت كثيراً، وضحكت أيضاً، وتبدلت ملامح الوجه، وتبدلَت وجوهٌ كثيرة... حتى فنجان القهوة لم يعد يحتفظ بوجهه طويلاً!

لقد تغيرت وتطَوَّرت أفكاري، وتغيَّر وتطور أيضاً المهندس ((حسني))، وكذلك المهندس ((محمد))، وتغيَّر الصديق فلان، وتغيرت المحبوبة فلانة، وتغيَّر السخيف علان، وتغيرت الملعونة علانة.. كُلنا نتغير.. لأن التغيُر سُنة الحياة، وكما تقول الحكمة المعروفة والمتكررة بحلقات ومحاضرات التنمية البشرية :

" ***الركود هو الموت، و من لا يتغير .. يهلك*** ".

نُبْذة عن يوم ميلادي الفلكي

قصة احكيها على مدار حياتي بشكل متكرر، وهي تنتهي دائما بجملة **"عذراء مُتأسِد أو أسد مُتعَذِر"**، حيث أنه مكتوب بشهادة الميلاد أني ولدت يوم الثاني والعشرين من شهر أغسطس وما يحدث أني والمقربين نشتري (التورتة) و(الجاتوه) يوم ٢٧ أغسطس، وذلك لأنه وكما حكت لي أمي الحبيبة أني قد ولدت يوم الأربعاء صباحاً والموافق السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٨٠ (عام برج القرد الصيني)، ولكن لظروف تتعلق بعمل الوالدين في المملكة العربية السعودية وبسبب روتين ما وأمور سخيفة تتعلق بالأجازات ومواعيد السفر اضطرت عائلتي لتسجيل يوم ميلادي بموعد مسبق، وبالتالي فقد حدث تغيير في برجي الفلكي الترابي الحقيقي (عذراء) إلى برج آخر ناري (الأسد)، كما أنه صار لي عند الدنيا حق بخمسة أيام لم أتنفس فيهم هواء واكسجين الأرض!

عيد الميلاد

عندما يأتي يوم عيد الميلاد تحدث عادة حالة من (الإستعباط) الداخلي لدى الشخص نفسه صاحب المناسبة، فيجد نفسه يتظاهر بأن الأمر عادي وأنه لا يفكر فيه على الإطلاق، ولكن في الداخل تنطلق مجموعة من مستقبلات الفرح لتلتقط أي إشارات خفية أو أي تصرف غريب ينم عن مفاجأة قادمة، وتبدأ قاعدة البيانات الداخلية في تسجيل أي تهنئة أو كلمات إطراء وتحفظها في ملف السعادة الداخلي..
وبالنسبة لي فإن شيئاً جديداً زاد هذا العام عن تلك المشاعر، فبالأمس فكرت ملياً في فكرة عيد الميلاد نفسها و طرحت على نفسي سؤالاً:
" *هل حقاً يوم ميلادك أو ذكرى يوم ميلادك هو اليوم الذي تشعر فيه بجَم السعادة؟* "، والحقيقة أن الإجابة إحتاجت عشر دقائق للتفكير الخالص...

فبعيداً عن لحظات السعادة الحقيقية التي تأتي بعد أي نجاح أو حتى بعد أي هدف يحرزه منتخب مصر ليعطينا أمل في الصعود لكأس العالم أو أي مكسب ثمين، فقد إكتشفت أن أمتع لحظات أو دقائق أو ساعات أو أيام عشتها، هي تلك التي أمضيتها حراً مبتعداًعن النمط المعتاد للحياة أو كسرت فيها كل حواجز المعقول والمفروض ...

و بقيت السعادة في نفسي مرتبطة دائماً بتلك اللحظات التي شابهت أول مرة قررت فيها أن أهرب (أزوغ) من الفصل الدراسي في عمر السبع سنوات، وكنت حينها لا أطيق أسلوب التعليم (ومازلت)، هذا الإسلوب السخيف المبني على التلقين لمدة ست ساعات متواصلة تحترق فيها مؤخرة التلميذ على خشبة الكرسي حتى تشتعل رأسه بكل الأفكار الشريرة فيود لو يتقيأ على الصبورة ليشعر المعلم بمدى الإشمئزاز الذي ينتاب الطفل المسكين من إنسكاب هذا الكم الهائل من المعلومات المملة في رأسه.

الأعجب هو أنني حين هربت (زوغت) أول مرة لم أعرف إلى أين أذهب؟!! ولكن الفكرة نفسها راقت لي واستمتعت بها.. ها أنا حر طليق بعيد عن سطوة المعلمين وثرثرتهم وصراخهم طوال النهار... وكان من الطبيعي والسهل إكتشاف هروبي (تزويغي) لأنني فعلت كما فعل السارق الساذج بعدما سلب غنيمته ثم قرر الإختباء في بئر السلم ظناً منه أن أصحاب البيت لن يفكروا في ذلك!

وعلى هذا الدرب فكل الأوقات التي قررت فيها أن أفعل ما أريد وضربت بالقواعد والتقاليد عرض الحائط صارت كالشموع المضيئة في أروقة ذكرياتي، حتى وإن إكتظت بكثير من الآلام، فهي حقاً ممتعة وهي التي إقتنصت فيها شيئاً لنفسي وبنفسي..

إذن فبإسلوب الرياضيات صارت معطيات المسألة كلها يسيرة، وبالتالي فإن النتيجة النهائية هي أن يوم الميلاد أو عيد الميلاد أو ذكرى الميلاد ليس السعادة بعينها وإنما هي مناسبة جيدة وأجواء مهيأة للقيام بفعل فريد تكسر فيه حاجز المعتاد أو تخوض مغامرة لتشعر بقدر كبير من السعادة وتشعل شمعة جديدة في أروقة الذكريات.

سنة حلوة يا أمي

و تأتي ذكرى يوم ميلادك بعد أيام من الرحيل ..
و ما أدري أحتفال و تهاني؟ أم بكاء و عويل ؟
أشموع بكعكة تزدان؟ أم على قبرٍ شموع و قناديل؟

تركتيني و أنا منك..
و إنطفأ بقلبي نور و ضَل عني السبيل..

الثامن من فبراير آتِ إليكِ بالورود و الهدايا..
أزف إليك بشرَى وأنثر تحت قدميكِ دُر الأقاويل

و لكن .. فبراير هذا العام أتى بغير صباح ..
غبتِ .. و توارت الحمامة البيضاء خلف ليل أسود طويل..

فلتشدو معي أيها الكروان الزائر ..
سنة حلوة يا أمي .. سنة حلوة بجنات الخلد ..
سنة حلوة يا جميل

Tarek Eid
12/2023

نفق مظلم

يحكى أن أحد الأندية العريقة ساءت أحواله وفقد مسببات النجاح فإنحدر به الحال تدريجياً حتى هبطت فريقه الأول إلى دوري الدرجة الثانية، ومكث في ذيل قائمة الأندية فترات حتى إنصرف المشجعون عنه وبات يعرف من أكثر الأندية فشلاً..

أكثر من عشرين سنة والنادي لا يحقق نتائج مرضية ويخسر مبارياته ويهدر في أمواله وأصوله.. وإفتقر النادي وأحاطته الديون والمشاكل والقضايا، وصار لا أحد يريد أن يقوم بتدريب فرق النادي لضعف امكانياته، إلى أن تقدم مجموعة من المدراء الفنيين لتدريب الفريق الأول بالنادي، وحيث أن ميزانية النادي أصبحت شحيحة ولم يعد هناك للنادي أي موارد مالية سوى الإشتراكات السنوية وتأجير كافتيريا صغيرة عند سور النادي، فتم إختيار طاقم للإدارة الفنية هو الأقل طلباً للأجور والمرتبات، وتقديرا منهم للظروف الصعبة التي يعيشها النادي قرر الطاقم خوض تجربة تدريب الفريق طَوْعاً وبلا مقابل مادي، وتبرعوا من أموالهم الخاصة بقيمة الملابس وبعض الأدوات الرياضية للنادي..

وحباً في المكان العريق ورغبة في النجاح إجتهد الطاقم في العمل للنهوض بالنادي وإنتشاله من القاع، فنَفضوا غبار فشل الماضي عن أكتافهم، ومَضوا في سبيل الإرتقاء بمستوى النادي وعُبور كل الحواجز التي تعرقل رجوعه إلى مصاف الأندية الكبيرة.

وبالفعل حقق الطاقم الإداري مجموعة من النجاحات وتحسنت نتائج الفرق ففاز بعشر مباريات متتالية وأصبح في قمة دوري الدرجة الثانية وبات الصعود لدوري الدرجة الأولى قريب المنال...

تعالت الصيحات وهتافات الجمهور لتشجيع الطاقم المجتهد الذي أعاد الأمال إلى داخل أسوار النادي مرة أخرى بعد سنوات عجاف، ووَفَد المشجعون للمدرجات وإرتفعت الرايات وإشارات النصر مرة أخرى..

وفي أحد المباريات المهمة سافر فريق النادي لملاقاة أقوى أندية الدوري، وبعد مرور نصف ساعة قام حكم المباراة بطرد أحد أهم لاعبي الفريق ولم يحتسب له ضربة جزاء صحيحة وخَسر الفريق المباراة المهمة بعد أن استقبل عدد كبير من الأهداف، فتقهقر النادي إلى المركز الثاني وقلت إحتمالية صعوده لدوري الأضواء.

إعتذر الطاقم الفني للجمهور عن ذلك الإخفاق عند خروجهم رافعين أيديهم لأعلى، ووعدوهم بإستمرار التدريبات الشاقة والعمل المخلص الدؤوب لحين تحقيق الانتصار والصعود المنشود، ولكن مجموعة من الجمهور رفضوا الهزيمة العارضة وقَفزوا فوق

أسوار المدرجات وتوجهوا إلى غرفة تغيير ملابس اللاعبين وانهالوا عليهم بالسباب والشتائم وتوجهوا إلى الطاقم الفني باللوم الشديد، ثم قاموا بإحتجازهم داخل الغرفة ومَنعهم من الخروج مطالبين برحيل الطاقم الفني وإعلان استقالته لإستبداله بطاقم آخر أفضل منه...

خيم الصمت داخل الغرفة ثم تحول الصمت تدريجياً إلى قلق وخوف لدى بعض أفراد الطاقم الفني، فقال أحدهم :

- *علينا أن نرضخ لطلباتهم.. هم جمهور النادي الذين نعمل لإسعادهم.. لنقبل ما يطلبونه ونغادر تلك الغرفة ونرحل عن هذا النادي السيئ الناكر للجميل ولنذهب إلى بيوتنا في أمان..*

فرد آخر:

- *بل علينا أن نبقى أطول فترة حتى ييأسوا ويرحلوا فنخرج بهدوء ثم نستأنف عملنا الذي بدأناه عندما تستقر الأمور.. إنها مجرد مباراة والدوري لم ينته بعد و لم نفقد الأمل في الصعود.. وهذا أمر معتاد بعد الهزائم*

فصرخ ثالث:

- *لن نرحل.. نحن قد قدمنا الكثير من الجهد ولن أقبل أن يضيع عملي وجُهدي هباء منثورا.. هم لا يريدون لنا النجاح من البداية ويريدون أن يأتوا بطاقم أخر يدير الفريق كما يتراءى لهم ويسلبون ما تبقَى من خير هذا النادي... سأخرج وأشتبك معهم وستخرجون من ورائي.. ورزقي ورزقكم على الله....*

لم يكد يكمل عبارته حتى اظلمت الغرفة تماماً وصار المشهد معتما، حينئذ سمعوا صوتاً غاضب ينادي من خارج الغرفة يقول:

- *لقد تسببوا في فصل التيار الكهربائي عن الاستاد كله.. لقد أصبحنا جميعاً في نفق مظلم !!*

سوهارتو و فيروس الصمم الإختياري

من أهم أسباب سقوط بعض الأنظمة والزعماء المستبدين أنهم قد يصابوا بالصمم فلا يسمعون إلاّ لأنفسهم، ولا يأبهون لنصائح أو صراخ الشعوب، و يتمادون في الكِبر الآثم، و أعتقد أن هذه العلة يمكن أن يصاب بها أي زعيم أو ملك أو رئيس، وعادة ما تظهر تلك العلة مبكراً في دول العالم النامي.

"*كلهم متآمرون و منتفعون يغريهم المال و السلطة*" تلك هي أولى السطور التي ينقشها الكِبر على قلب الحاكم فتبدأ الأصوات في الخفوت تدريجياً من حوله حتى لا يسمع إلا نفسه، وهكذا حتى يصبح أصم وربما أعمى فيسخر من معارضيه أولاً بـ "*خليهم يتسلوا*" و ينتهي به الأمر إلى "*من أنتم؟!*"..

تعددت صور الصمم الإختياري على مر التاريخ و لعل الحكام قبل الشعوب يعون جيداً كيف سقطت وتهاوت الأنظمة الحديدية بسبب تلك القناعة (العنجهية) المتكبرة بأن مصلحة الشعوب لا يعلمها إلاّ أولوا الأمر وأن كل من يعترض و(يظيط) هو أراجوز (ماريونيت) أو متآمر يبتغي بعض فتات الكعكة.

الصمم الإختياري هو فيروس الكرسي، وهو القابل للتطعيم ضده بالديمقراطية والحكمة والشورى الحقيقية والرجوع لأهل العلم والتخصص، وهو فيروس إختياري لأن من يصاب به لديه ثلاثة خيارات إما أن يعالج منه فيُشفى، وإما أن يعتزل، وإما أن يتجاهل العلاج فيستمر في كبريائه الآثم حتى يصير في أذنيه وقر ويفقد السمع تدريجياً.

الوقر هو الثقل و وقر الأذن هو الثقل فيها، ولعل هذا هو سبب مقولة المصريين (سَمَعُه تقيل)، ويقال أيضاً أن الوقر هو التجويف الصغير في الصخر والذي ربما يستقر فيه الماء أو الترسبات أو ما شابه، و ربما يكون هذا أيضاً سبباً في تشبيه المصريين للعنيد المتعنت الذي لا يريد أن يفهم بأن (راسه ناشفه حجر) وبالتالي فأذنه مجرد (وقر) منحوت داخل هذا الجامد الصلب، وبما أن الشعوب العتيقة خبيرة بمثل هذه الفيروسات التي تصيب الحكام بالصمم وأحياناً بالغباء، فتجدهم إذا ما خرجوا في تظاهرة أو ثورة يهتفوا ببعض الهتافات مثل:

"*إرحل يعني إمشي .. ياللي مابتفهمشي*"

و التاريخ يزخر بأسماء كثير من الزعماء الذين تم إغتيالهم أو إعدامهم وقد وتسببوا في قتل آلاف من البشر بسبب هذا الفيروس الخطيرالذي إذا ما إستحوذ على الحاكم أو المسؤول صار ديكتاتورا يسمع قليلاً ولكن لا يفقه، حتى يسقط كما سقط من قبله ويسقط معه العشرات.. بل المئات من المناصرين والمؤيدين.. والمعارضين أيضاً.

و أذكر قصة ((سوهارتو)) الذي حكم أندونيسيا ثلاثة عقود سعى فيها إلى إعادة العلاقات السياسية مع الدول الغربية ودعم مكانة بلاده إقليمياً، وفي عهده إزدهر الاقتصاد الوطني وأقدم المستثمرون الدوليون على الإستثمار في إندونيسيا، وتقدمت حركة الصناعة وتحقق رخاء اقتصادي للمجتمع الإندونيسي لم يشهده من قبل، ولم يغفل ((سوهارتو)) البنية الاجتماعية فطَوَّر التعليم وحقق قدراً كبيرا من التأمين الصحي.

ولكن كل هذا العمل الجيد لم يشفع له حينما أهلت ملامح الأزمة الاقتصادية الحادة على إندونيسيا وبدأت الروبية الإندونيسية تفقد قيمتها وإرتفعت نسبة التضخم بشكل كبير وإتسعت دائرة البطالة وأعلن صندوق النقد الدولي صعوبة إستقرار الإقتصاد الإندونيسي مع وجود ((سوهارتو)) في الحكم، وأضطر حينها لممارسة إجراءات تقشف اقتصادية سنة 1998، والتي بدورها أحدثت أزمة ثقة في نظامه على المستوى الداخلي، ورغم أن كان له ظهيراً شعبياً وكان له أيضاً العديد من الإنجازات، إلاّ أن الطلاب خرجوا في مظاهرات بالعاصمة وحاصروا البرلمان مطالبين بإصلاحات ديمقراطية لينتهي الأمر بإستقالته بعد أن تسبب في مقتل ما يقرب من مليون شخص من المعارضين.

إذن فأزمة واحدة كبيرة تتضخم ولا يتم ادراكها مبكراً فتنفجر في وجه الحاكم ونظامه ولا يشفع له عشرات الأزمات التي قد قام بحلها!

ولتشخيص فيروس الصمم الإختياري للحاكم فإن من أهم علاماته هو عدم مناقشة القرارات المهمة، وعدم مصارحة الفئات المتعلمة بدوافع القرارات وعدم الرد حين يُسأل لماذا فعلت هذا أو ذاك؟! .. والعصبية والحدة أحياناً في الإجابة على الأسئلة أثناء المؤتمرات العامة والجلسات الخاصة، والسخرية من المعارضة وتخوينهم، وفي الحالات المتأخرة يمكن أن يلقي على معارضيه قنابل أو يستخدم أسلحة كيميائية وبيولوجية، وربما يزج بالعسكرية في صراعات خاسرة وحروب لا أخلاقية.

ولعلاج هذا الفيروس فإن (روشتة) القضاء عليه مكتوب فيها:

يجب أولاً القضاء على مسببات هذا الفيروس الذي ينشأ نتيجة الاختلاط بخفافيش الظلام وأصحاب النزعات العنصرية المتطرفة، والتعرض الدائم لنفاق المنتفعين ورياء المسؤولين وكذب الإعلاميين، وتفشي الجهل لدى المواطنين، وسلبية ولا مبالاة المجتمع المدني، وتهميش أصحاب العلم الغزير والمفكرين.

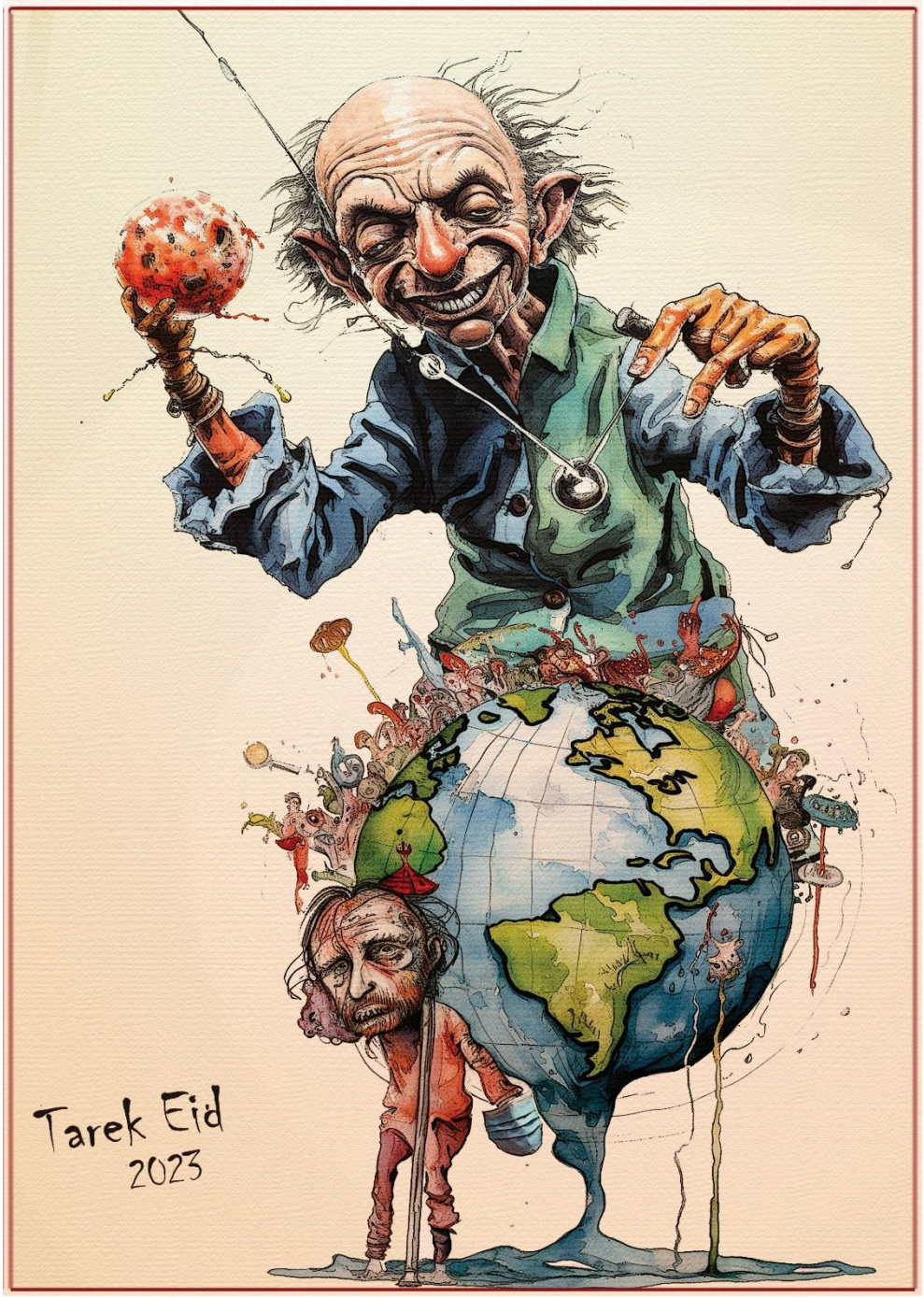
Tarek Eid
2023

مشتاقللك يا أرضي

مشتاقللك يا أرضي .. و بعادك مش بيدي
الغربة فيكي بتزيد .. و الحل مش عندي

و الضحكة تمر عليَّ حزينة و انتِ بعيد
و الدمعة من بطش الغريب تجري على خدي

مشتاقللك يا بلدي .. و بتقفلي شبابيك و تسدي
فُت أراضيكي غصب عني لأجل أنفد بجلدي

كلمة الحق فيكي أغنية و نشيد
و لو أقولها.. ميت طعنة تغرس ف قلبي!
يا بلدي الحرية ف طين أراضيكي بذرة مغروسة
و شجرها وارف ورا الجدران و أوراقه محبوسة
و لما حلمنا بنَهار قالوا أفكارنا غريبة و مدسوسة
و اللي زرعها في عقولنا جاسوس أو جاسوسة !

مشتقاللك يا أرضي و مشتاق لكل حاجة فيكي ..
و مداري عشقك و جمالك و سنين العمر بتعدي
و بحلم بسنين الخير.. و أصحى أناديكي ..
و أتمنى أصلي في رحابك و في كِتفي والدي..
و في الكتف التاني .. ولَدي .

أرض النفاق من جديد

من حين لآخر تراودني فكرة الأديب ((يوسف السباعي)) في رواية (أرض النفاق)، وكأنه قد غرس بداخلي أملاً رغبت فيه وتمنيت لو يتحقق خيال كاتب في رواية بواقع نعيش فيه، ويصبح هناك أقراص للأخلاق تباع بالمحال التجارية، فيشتري منها كل من تنقصه بعض الشجاعة أو الصدق أو المروءة .. إلخ.

أجلس أحياناً أمام التلفاز وأتخيل لو أن بعض الصحفيين أو الإعلاميين قد قرروا أن يتناولون حبات الصدق قبل الكتابة أو قبل خروجهم على الهواء في البرامج، ماذا سيكون الحال حينئذ؟ ماذا سيكتبون وما الذي ستنطقه ألسنتهم؟

ماذا عن امثال ((محجوب عبدالدايم)) في (القاهرة ٣٠) هل سيعترفون بكم الأكاذيب؟ وماذا عن بعض مذيعي القنوات الاخبارية وبعض قنوات المعارضة التي تبث إرسالها من خارج القُطر؟ هل سيعترفون بكم الأموال التي يتقاضونها والمنافع التي يتحصلون عليها نظير هجائهم المستمر بحجة معارضتهم للأنظمة مع مدحهم المبالغ فيه لحكومات الدول التي تأويهم!

وماذا عن المحامي سليط اللسان الذي يتوعد كل من يعارضه بأنه سيأتي به عارياً.. ماذا لو ابتلع حبات من الحُلم والتواضع وأدب الحوار؟ هل سيمكث ببيته ويحدثنا بنبرة صوت ((هاني شاكر))؟!

و ماذا لو قرر كل الملوك والرؤساء أن يشربوا نخباً يومياً من (كوكتيل الأخلاق الحميدة مضروب في الخلاط)؟ هل سنرى لاجئ أو جائع أو مريض لا يجد الدواء؟! هل ستتوقف حروب الإبادة؟ هل سيحاكم مجرمي الحرب على أفعالهم اللا إنسانية؟

عندما سألت نفسي لماذا هذه رواية تحديداً قد تركت أثراً مديداً بداخلي، لم أجد إجابة سوى أنها كانت الرواية الأولى في حياتي التي تدربت وتعلمت منها كيفية تحويل نص أدبي روائي إلى نص مسرحي، وأذكر منذ أكثر من عِقدين أنني دهشت عندما قرأت الرواية وتعجبت للمعالجة السينمائية لها، تلك التي قام ببطولتها الفنان المحبوب الراحل ((فؤاد المهندس))، فقد أغفل الفيلم بعض الأحداث المهمة بالرواية وأسهب وأوجز في أحداث أخرى!

أحسب ((يوسف السباعي)) عندما خَط رائعته (أرض النفاق) كان قد سئم الخسة والحقارة و الكذب في المجتمعات، فقرر أن يكشف العوار ويرى العالم بوجه آخر وأن يحوله إلى يوتوبيا، فتجلت له فكرة حبوب الأخلاق، و يالها من فكرة!

فلو أن الأخلاق تباع لإشتريتها وأسكبتها كالبهارات في كل أطعمتنا، كما سكب بطل الرواية الحبوب في النهر الذي نشرب منه، ولكنها "أشياء لا تشترى" مثلما قال أمير شعراء الرفض ((أمل دنقل)).

يقول ((السباعي)) في (أرض النفاق):

"نحن شعب يحب الموتى، ولا يرى مزايا الأحياء حتى يستقروا في باطن الأرض"، وكأنه كان يعلم أن هناك من سيولد بعد قتله ويكتب عن مزايا أفكاره التي إستقرت في ذهنه بعد أن أستقر هو في باطن الأرض!

لا خُلُق لكم

قتلوا الشيخ و الطفل و أمه، و ينثرون الأجساد بالعراء

أنذل منكم لم تَر عيني .. و ادنس منكم لم تلد النساء

خلقتم عراة من كل شرف، فمنهجكم خِسة وخيانة و رياء

رضعتم الحقد من ثدي دنئ .. فلا خُلق لكم .. ولا انتماء .

أنا الشاهد

أنا الشاهد إللي ماشَفش حاجة ..
أنا الشاهد اللي انتظر خيرك يا أرض و الغريب سلبني أرضي وكل حاجة
أنا الشاهد على الجرايم و السرقة و النهب ..
و اقف في الميدان أصرخ و أنادي ما هو مفيش بإيدي حاجة
أنا الشاهد على الحجر والنِبال و العيال
و المولتوف و المعتدي و المُحتال إللي على راسه ميت ألف حاجة
أنا الشاهد إللي نصب الخيمة ونام على الأرض وقال للظلم لأ ...
ولا عمره مد إيده ولا عمره طلب حاجة
أنا الشاهد إللي كل يوم يدعي ويقول يا رب بكره تعدلها ..
و السلام و الخير يعُم و الأصيل مايحتاج لحاجة
أنا الشاهد إللي بيصلي ويشتغل مِن بدري ويقرا الكتاب
وينام ويحلم ببلده قوية و غنية ومش محتاجة
أنا الشاهد على النفق و جندي اتحرق ...
وتلامذة وكتب تحت الركام و شعب بيموت ومذنبوش حاجة
أنا الشاهد إللي فيكي يا أرض اتولدت وأجتهدت وصبرت و انقهرت ...
و روحي طلعت .. قالوا ماتساويش حاجة
أنا الشاهد إللي ثاروراح ياخد بالتار.. رفعت راسي إنصابت مني عين..
قلت بالتانية هشوف كل حاجة
أنا الشاهد أبو قلب بينزف.. إيدي اتكبلت والدمع غلَب
و الخسيس ربطني و غَمَّاني ما عدت شايف حاجة

أنا الشاهد إللي ماشَفش حاجة.. منَك يا انسان.. عرفت معنى الحاجة..
و منِك يا أرض.. ماعُدتش عايز حاجة.

Tarek Eid
11-2023

عراة في ظلام قصر

أوشك الطبيب الثري المعروف أن يبلغ أسوار المجموعة السكنية الفاخرة التي يسكن بأحد قصورها، فضغط بقدمه على مكبح سيارته الفارهة رويداً رويداً حتى توقفت أمام البوابة العريضة، وبحركة تلقائية مد كف يده إلى منتصف مقوَد السيارة (الدركسيون) ضاغطاً بقوة لتطلق السيارة نفيراً متكرراً ينتظر إنفراج ضلفتي البوابة، ولكن شيئاً لم يتغير وأحداً لم ينتبه وظلت البوابة موصدة في وجهه، فإنزعج الطبيب وأعاد أطلاق نفير سيارته بقوة، ولكن لا أحد من أفراد الأمن يطل بوجهه ولا شيء يتغير ولم تزل البوابة على حالها!

كانت تلك هي المرة الأولى التي يقود فيها الطبيب ((عبدالقادر الزيني)) إحدى سياراته منذ شهور، فقد إعتاد على الجلوس مستريحاً بالأريكة الخلفية للسيارة يراقب سائقه المأجور من خلف هاتف محمول إعتاد النظر إلى شاشته، فكان يراقب ذراعي السائق وكفيّه القابضيّن على المقوَد، حتى إذا ما أفلت أحد كفيه نبهه إلى ضرورة الإنتباه والتحكم بكلا الذراعين حتى لا يفلت منه زمام الأمور، ولكن السائق لم يأت اليوم وتعثرت قدمه بحفرة من حفر الشوارع المتناثرة بالحي الشعبي القديم الذي يقطنه، وإعتذر عن المجيئ لإلتواء قدمه ولشدة الآلام التي يشعر بها، فقد صار غير قادر على المشي أو القيادة ولابد له من راحة.

أمعن الطبيب النظر من خلف الزجاج الأمامي للسيارة فلم ير أحداً يقف خلف البوابة ولا يوجد أحد بالقرب منها، ففتح باب السيارة وخرج منها يتلفت يميناً ويساراً بضجر شديد حاملاً بين شفتيه قصائد من السُباب يكاد يلقيها تارة واحدة على رأس أول من يصيبه ببصره، ولكنه لم يعثر على أحد، فأخذ يضرب كفيه مستعجباً وهو يتسائل:
- *أين هؤلاء الأقذار؟!*

وإذا بالطبيب يدفع البوابة براحة كفه فتزحزحت وإنفتحت ببطئ، فإستمر في دفعها غير مصدق أن البوابة تنفتح بيسر وليس هناك من يوقفها أو يتحكم بها فلا حارس ولا رقيب ينظم دخول القادمين من الخارج، فعاد إلى سيارته ساخطاً ومستنكراً ما يحدث، وعبَر بها الممر إلى داخل (الكمبوند)، ثم أمسك بهاتفه المحمول يتصل بمدير أمن المجموعة السكنية الفاخرة...

دقيقة مرت و((عبدالقادر)) يستمع إلى أحد الأدعية (كول تون) التي خصصها مدير الأمن ليسمعها المتصل حتى يرد عليه، ومع كل إتصال يدعو عليه الطبيب أن يموت بقنبلة تبعثر جسده إلى أشلاء، ولكن في المرة الخامسة سمع صوت مدير الأمن يأتيه من وسط صخب شديد و يقول له:

- *دكتور عبدالقادر.. أعتذر لك بشده.. هناك حريق هائل في قصر حازم باشا وكلنا هنا منهمكون في محاولات لإخماده....*

أغلق مدير الأمن المكالمة وإنقطع الصخب، ولم يصدق ((عبد القادر)) أن المكالمة إنتهت عند هذا الحد، فلم ينبس ببنت شفه، وظل شارداً للحظات قبل أن يُلقِي هاتفه المحمول على الكرسي بجواره ويمضى بسيارته نحو قصره، وبينما يمضي ((عبدالقادر)) بسيارته بين الأشجار الوارفة لمحت عيناه ألسنة اللهب والدخان تتصاعد أعلى قصر صديقه ((حازم ناجي))، فتوقف قليلاً يتابع الموقف، ثم إبتسم قائلاً:

- *الحرام لا يدوم*

مضى ((عبدالقادر)) في طريقه بالسيارة حتى وصل إلى قصره، حينئذ أطلق نفير سيارته مجدداً، فلم يجبه أحد، ففتش بعينيه عن الحارس أو زوجته الخادمة، فلم ير أحداً منهما، فظن أنهما قد ذهبا إلى مكان الحريق وتركا أشغالهما بالقصر، فإستشاط غضباً وتوعدهما في نفسه بعقاب غليظ عندما يعودان، ثم صعد السلم يلعن ويسب حتى رأى زوجته ((هويدا)) تقف وحيدة في إستقباله ترسم على وجهها إبتسامة فاترة، فسألها بشغف:

- *ماذا بك؟ وأين الحارس و الخادمة؟*

أجابته ((هويدا)) بصوت حزين:

- *لقد أصيب إبنهما في حادث على الطريق الدائري فهرعا إليه.. وللأسف نزف دماً كثيراً وقَضى نحبه قبل إجراء الإسعافات اللازمة له...*

سكت ((عبدالقادر)) برهة ثم ربط على كتف ((هويدا)) قائلاً:

- *لا داعي للحزن.. هؤلاء الأشخاص ينجبون مثل الأرانب ويلقون أولادهم في الشوارع.. وهذه نتيجة طبيعية لجهلهم وسوء رعايتهم.. قبل نهاية العام ستسمعين نبأ ولادة الخادمة لتوأم ملتصق...*

ثم مد يده إلى جيب سترته وأخرج حافظة نقوده وسحب منها بعض النقود وأعطاها إياها قالاً:

- *أعطيهما هذا المبلغ وأبلغيهما أسفي لمصابهم.. وغدا سأرسل لكِ بديلين ليس لهما أي أولاد يموتون في حادث على الدائري*

و إنصرف إلى غرفة الملابس يخلع نعليه ويستبدل ملابسه، فإذا به يشم رائحة الدخان وقد ملأت أجواء القصر، فعاد إلى زوجته من جديد وسألها:

- *هل علمتِ بأمر الحريق الذي إندلع في قصر حازم؟*
- *منذ ساعة شممت رائحة الدخان، ثم سمعت أصوات نفير عربات الإطفاء ولكن لا أعلم ما الذي يحدث...*

أطلق ((عبدالقادر)) ضحكة ساخرة ثم قال:

- *لقد إحترق قصره الملعون الذي جمع من أجله ملايين الجنيهات...*

إندهشت ((هويدا)) لفرحته وسألته متعجبة:

- *أتفرح وتشمت في مصيبة صديقك ؟!*

أجاب ((عبدالقادر)):

- *ولم لا أشمت؟! قد أتى بأموال هذا القصر من عمليات مشبوهة و تجارة محرمة.. وهو يمارس في قصره كل الموبقات.. هذه هي العدالة الإلهية وهذه نتيجة طبيعية لفساده...*

قالها وأنطلق يشدو بالغناء في حالة من البهجة، بينما بقت ((هويدا)) وحيدة في الغرفة تفكر في حيرة وتذهب يميناً ويساراً تفتش عن سبيل تلقي إليه ما تخفيه عنه، وبعد عشر دقائق ذهبت نحو باب دورة المياه حيث يستحم زوجها ونادت عليه، فتوقف خرير المياه مع صوتها المُتهدهد و هي تقول:

- *حبيبي.. هناك خبر سيئ كنت لا أود أن أخبرك به..*

أتى صدى صوت ((عبدالقادر)) من بين جنبات الحوائط (السيراميك) يقول:

- *أخبريني يا حبيبتي بالأخبار السيئة، فهو يوم سيئ لم تطلع له شمس*

سكتت ((هويدا)) قليلاً قبل أن تأخذ القرار بإلقاء الخبر مرة واحدة كالقنبلة، فقالت بنبرة يملأها بعض من الحماس المُفتعل:

- *ليس هناك ما نأكله الليلة فقد أغلقت الشرطة مطعم المشويات الذي تحبه والذي تعودنا أن نأكل منه كل يوم.. لقد عثروا فيه على لحم حمير و كلاب ولحوم منتهية الصلاحية*

خيم الصمت لحظات قبل أن يتحرك المقبض وينفتح باب دورة المياه ليظهر من خلفه الزوج بجسده العاري وشعره الكثيف كحيوان بري يتقدم بحذر نحو فريسته، فتراجعت ((هويدا)) إلى الخلف و دَب الخوف بأطرافها، وسرعان ما إنقض عليها كالفهد وأمسك بذراعها قائلاً بحنق شديد:

- *أنا وأنتِ وأبناؤنا وأقاربنا وأصدقاؤنا وكل من دعوناهم للطعام في هذا البيت ومنهم المحافظ ووزير الصحة.. كلنا أكلنا ونأكل من هذا المطعم لسنوات طويلة.. لا يمكن أن يحدث ما ذكرتيه!*

أفلتت ((هويدا)) بذراعها وهرولت تبتعد عنه وهي تردد:

- *بل حدث ولا أعلم كيف.. هذا ما حدث .. يمكنك تصفح الأخبار*

مكث الطبيب برهة يحدث نفسه غير مصدق حتى هدأت أوصاله، ثم هب واقفاً وتوجه حيث تجلس زوجته بحجرة النوم فربت على كتفها وداعبها قائلاً:

- *لا داعي للقلق.. لو كان هذا الأمر حقيقي لصرنا ننبح وننهق عند نوافذ القصر.. أعتقد أنها وشاية حقيرة الغرض منها الإنتقام وتلويث سمعة المطعم بعدما قدم لنقابتنا خصومات كبيرة.. هذه نتيجة طبيعية لإنتشار الغل والحقد في النفوس وتفشي ظاهرة أعداء النجاح في المجتمع*

أومأت الزوجة بالإيجاب في محاولة منها لتصديق ما يقوله ومحاولة أخرى لإقناعه بذلك، فأمسك بذراعها مرة أخرى يشدها لتنهض وتستبدل ملابسها ويخرجان في نزهة لتناول وجبة العشاء بأحد الفنادق ذات الخمس نجوم، فإستجابت له على الفور وعاد مرة أخرى ليستكمل إستحمامه.

لم تمض خمس دقائق حتى عم الظلام فجأة أرجاء القصر، فصرخت ((هويدا)) و نادت على زوجها خائفة، فأتى إليها صوته من بين جنبات دورة المياه سائلاً:

- *ما الذي حدث؟ لماذا إنطفأت الأنوار؟!*

أجابت ((هويدا)) بخوف: - *لا أدري.. إني لا أرى شيئاً ولم أكن قد إرتديت ثوبي بعد*

خرج ((عبدالقادر)) من دورة المياه يتخبط في الظلام الدامس ويتحسس بيده اليمنى كل صلب يقابله بينما يقبض بيده اليسرى على منشفة طويلة يستر بها عورته، حتى أبصر وميض هاتفه المحمول، فإتجه نحوه وضغط عليه لينير من أمامه بضوء شاشته حتى بلغ محل زوجته، فإحتضنها برفق قائلاً:

- *لا داعي للخوف.. سأتصل حالاً بمسئول الكهرباء لأعرف كيف حدث هذا وسأعيد إنارة القصر*

إنتظرا الزوجان عدة دقائق حتى رد المسئول على هاتفه المحمول، حينئذ إحتدت نبرة صوت الطبيب وصاح قائلاً:

- *أنت شخص غير مسئول.. الظلام يعم القصر وكأننا نسكن في العشوائيات*
- *يا دكتور عبدالقادر.. نحن نعتذر لكم جميعاً ولكن النيران إمتدت من قصر الدكتور حازم وإقتربت من محول الكهرباء فتم فصل التيار لحين التغلب على الحريق...* قاطعه الطبيب صائحا:
- *أنتم فاشلون.. هذه هي نتيجة الإهمال.. أنتم فاشلون .. هذه نتيجة اللامبالاه..*

أنهى ((عبدالقادر)) المكالمة في ضجر وعبس وجه بينما جمد الدم في عروق ((هويدا)) وإرتعشت بين أحضان زوجها، وفجأة برقت عيناها وأشارت بسبابتها نحو شرفة القصر، فإلتفت ((عبدالقادر)) ينظر نحو الشرفة فإذا بلهيب وقد بان سناه والأشجار تحترق والأفنان تتساقط مشتعلة في حديقة القصر، وأصوات الحفيف والكصيص والفرقعات تعلو وكأن النار تنادي عليهما وتنذرهما وتتوعدهما إن لم يبتعدا، فصرخت ((هويدا)) في هلع، فإحتضنها الزوج بقوة يهدئ من روعها قائلاً:

- *سنهرب.. لابد لنا من الهرب الآن.. لقد إقترب الخطر منا...*

فنظرت ((هويدا)) إلى بريق عينيه ومقلتيه اللتين عكستا وجه النيران وسألته بنبرة بائسة وبصوت متحشرج وجسدٍ يرتعد:

- *وكيف لنا أن نهرب؟ أما ترى أننا نكاد نكون عراة في ظلام قصر سيحترق؟!*

لم يأبه ((عبدالقادر)) لما قالته، وأنطلق يجرها خلفه على أثر الضوء الخافت لهاتفه المحمول، فتخبطا واصطدما بجدران القصر والأعمدة والأثاث والتحف، وزَلَّت الأقدام وإنزلقت على درجات السلم حتى وصلا إلى ردهة القصر، وفي هذه اللحظة سطع شعاع نور قوي عند باب القصر أنار كل ما حوله...

كان شعاع النور يصدر من كشاف قوي حمله إبنهما الشاب ((أحمد)) الذي ترك بيته وهرع إلى القصر ليطمئن على والديه بعد أن علم بخبر الحريق، فإحتضنهما وخلع ملابسه ليستر بها جسد أمه ومشى بها حتى بلغا السيارة، فركب الثلاثة وأنطلقوا مبتعدين حتى وصلوا إلى البوابة العريضة للمجموعة السكنية الفاخرة.

كانت البوابة العريضة مفتوحة على مصرعيها وكأنها تطردهم إلى شوارع المدينة، وإنتشرت سيارات الإطفاء والإسعاف داخل أسوار المجموعة السكنية، وإرتفعت ألسنة النيران ليبصرها كل من هم خارج الأسوار، وإحتشدت الجموع لمشاهدة المشهد وكأنهم يتابعون فيلماً سينمائياً، فمن الناس من جلب معه بعض التسالي من اللب والفول السوداني وجلس يتابع بشغف الحرائق وهي تلتهم (أموال البشاوات) حسبما كانوا يقولون، بينما جلس الطبيب الثري المعروف داخل سيارة إبنه ناظراً بأسى من خلف

زجاج السيارة صوب قصره البعيد لعله يبصر ماضياً جميلاً يبقَى أو مستقبلاً لا يمسسه أذى، فطأطأ رأسه في حسرة يتأمل منشفة بالكاد تستر عورته، وتمتم بكلمات لم يسمعها أحد غيره وقال: " *لقد نالت النار من قصري .. كم كنت أنانياً .. ليتني لم أتغافل .. هذه نتيجة السكوت* ".

ليلة راس السنة

مين قال اني عايز سَنة جديدة ..

أنا راضي بسَنة قديمة مستعملة من بتوع زمان

قول للزمان .. أو ماتقولُّوش ..

هو هينادي علينا و هيشدنا معاه لنهاية الأحزان

ليلة راس السنة بداية مضمار

وجَريّ الوحوش في العتمة هلكك يا انسان

و نور الصباح جاي غصب عنك ..

بس ياريت وهو جاي يجيب معاه كيلو برتقان

ده برد االشتا كسَّر عضمي ..

و المضاد الحيوي مش فاضل فيه غير شوية هذيان

مين قال اني عايز سَنة جديدة ..

أنا راضي بسَنة قديمة مستعملة من بتوع زمان

عن الكاتب :

« طارق عيد »

كاتب ومهندس ديكور مصري من مواليد القاهرة ١٩٨٠، تعلم في مدرسة «ليسيه الحرية»، وتخرج من كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، قبل ان يحصل على دبلومة دراسات عليا في العلوم الهندسية البيئية من جامعة عين شمس، وهو عضو مجلس إدارة النقابة العامة للفنانين التشكيليين ورئيس شعبة الديكور ومقرر لجنة ممارسة المهنة بالنقابة.

عمل بمجالات تصميم وصيانة المشروعات، والسلامة والصحة المهنية والبيئة، وتخطيط الاستجابة للطوارئ والأزمات بخدمات البترول الجوية، ومجالات أخرى حصل فيها على شهادات دولية وخبرات مهنية متنوعة.

صدر له رواية «**مورانو**»، ونُشر له العديد من القصص والمقالات بجريدة «الأهرام» المصرية وبعض البوابات الصحفية الإلكترونية، وقد بدأ الكاتب في نشر كتاباته إبان فترة دراسته بالجامعة وكان عضواً بفريق التحرير في مجلة «كلمتنا» الشبابية منذ بداية تأسيسها عام ١٩٩٩ وحتى ٢٠٠٣، و نُشر له فيها العديد من المقالات والقصص القصيرة والأشعار، كما كان له أنشطة ثقافية أخرى متنوعة مثل الكتابة المسرحية والتمثيل ببعض عروض فريق اتيليه مسرح الفنون الجميلة